



أحمد عبد الله الدامغ

الجزء الثالث عشر



مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة
قسم الدراسات والبحوث والنشر
الرياض ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م



ح احمد عبدالله الدامغ، ١٤٢٤ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الدامغ ، احمد بن عبدالله
الادب المثمن / احمد بن عبدالله الدامغ - الرياض، ١٤٢٤ هـ
١٦ مج. ، ٣٣٦ ص ، ١٧ X ٢٤ سم
ردمك: ٥-٣٣١-١٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-٣٣٢-١٠-٩٩٦٠ (ج ١)
١- الادب العربي - مجموعات أ- العنوان
ديوي ٨، ٨١٠ ١٤٢٤/٢٧٧٣

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٢٧٧٣
ردمك: ٥-٣٣١-١٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-٣٣٢-١٠-٩٩٦٠ (ج ١)

المملكة العربية السعودية ص.ب ٩٣٩٢٧ الرياض ١١٦٨٣ هاتف ٤٨٧٠٥١٣
فاكس ٤٨٧١٤٢٧/٢٦
الموقع على الأنترنت
www.albabtain-center.com
البريد الألكتروني:
E-mail: info@albabtain-center.com



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة!

أخي القارئ الكريم، لقد حرصت كل الحرص على عدم توالي الموضوعات المتجانسة أو تقارب بعضها من بعض بصورة ملفتة للنظر ما لم يكن هناك مبرر لتواليها أو ارتباط وثيق يجبرني على ذلك.

وقد بنيت هذا الحرص على أمرين هما من أهم ما قامت عليه خطة تأليف هذا الكتاب:

الأول: إن في مباعدتها عن بعضها وبعثرتها في أجزاء هذا الكتاب ما أراه يطرد عنك الملل من مواصلة القراءة في مواضع متشابهة في جوهرها. وينأى بك عن العزوف عن قراءة الكتاب برمته.

الثاني: أنني لو قاربت بين المواضيع المتجانسة وجعلتها متتالية أو متوالية لما صح لي أن أجعلها تحت هذا العنوان «الأدب المثمن» وفرض عليَّ واقع تجمعها عنواناً يترجم معناها ويدل على مضمونها وفحواها هذا والله الهادي إلى سواء السبيل.

أحمد عبد الله الدامغ
ص.ب ٤٠١٣٨ الرياض ١١٤٩٩



وصف مائدة من الرؤوس

ويتفنن الطبّاخون والطهاة في تقديم الموائد المتنوعة، بل يكون لهم في تحضير النوع الواحد من المأكولات عدة طرق لطبخه وإعداده للأكل، فاللحم مثلاً وهو نوع واحد يتم تحضيره للأكل مطبوخاً طبخاً عادياً، أو مشوياً أو مقلياً، وهلمّ جرا مما يعرفه الطهاة من أساليب تحضير طبق من اللحم أو من أي نوع من أنواع الأكل كالبطاطا وغيرها.

وبعض الشعراء يكون له ثقافة شاملة لذلك، وخبرة يملك بموجبها القدرة على وصف المائدة المتنوعة. فتراه حينما ينظم قصيدة يصف فيها مائدة متكاملة يجعلك وأنت تقرأ شعره كأنك تنظر بعينك إلى المائدة التي يتناول وصفها.

ومن الشعراء الذين أخذوا بطرف من وصف الموائد المعدة من رؤوس الخراف وما يتخللها من رقائق الخبز والبقول والمشهيّات، الشاعر صالح بن مؤنس وذلك في أبيات ذكرها الثعالبي في يتيمة الدهر، منها قوله:

قد غدونا على رؤوس سمان
ناعمات من أرؤس الخرفان

وارمات الخدود من غير سُوء
شحمات العيون والآذان

تتداعى بالوهم من قبل أن تلـ
ـمسها كفُّ آكل ببنان



ولأصل اللسان طيب ينسـ

لك من الطيب مصّ طرف اللسان

ورُقاق ذي نعمة وبياض

كوجوه المخدّرات الحسان

وبقول تُغْنيك عن زهرة الرو

ض وتنسيك خضرة البستان

وهذه المائدة المكونة من الرؤوس، قال عنها الشاعر صالح بن مؤنس في نفس القصيدة إنها عند شخص يستحق المديح والثناء لكرمه، وجوده، ولطافة أخلاقه التي جعلت من نفسه عبداً لإخوانه وضيوفه، فنشر الزمان سمعته، ونادى بكرم فضله على رؤوس الأشهاد:

عند حُرّ يستنفد الوصف مدحاً

وهو عبد لسائر الإخوان

أحكمتك الأيام يا ابن حكيم

فأريت الزمان حكم الزمان

○○○○○

نسب كُثَيِّر.. وسبب تصغير اسمه

وَكُثَيِّر الذي اقترن اسمه باسم معشوقته عزة، وأصبح ينسب إليها هو: أبو صخر كَثِير بن عبد الرحمٰن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخارق بن سعيدة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو بن خزاعة بن ربيعة أنهى الأصبهاني نسبه إلى قحطان، واسم أمه: جمعة بنت الأشيم بن خالد بن عبيد بن مبشر بن رباح بن سيالة بن عامر بن جعثمة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وكانت كنية الأشيم جده أبي أمه، أبا جمعة ولذلك قيل له ابن أبي جمعة.. قال: وكان له ابن يقال له ثواب من أشعر أهل زمانه مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له، ومات كثير سنة خمسٍ ومائة، أما ابن كثير فجعله في «البداية والنهاية» من وفيات ١٠٧هـ.. أما عزة التي نسب إليها فهي عزة أم عمرو بنت جميل بن حفص من بني حاجب بن غفار فإن له معها مواقف سأذكر شيئاً منها إن شاء الله في موضع آخر من هذا الجزء.

أما تصغير اسمه وجعله كُثَيِّر ـ بضم الكاف وفتح الثاء وتشديد الياء بدلاً من كثير ـ بفتح الكاف وكسر الثاء والياء، فلأنه كان دميم الخلق قصيراً طوله ثلاثة أشبار.

قال ابن خلكان صاحب كتاب «وفيات الأعيان»: كان يقال له ـ والمعني كثير ـ رب الربان وكان إذا مشى يظن أنه صغير من قصره.

قال الحافظ ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» كان إذا دخل على عبد الملك بن مروان، يقول له: طأطأ رأسك لا يؤذيك السقف، وكان يضحك إليه.

ولقد اهتمَّت كثير من كتب التراث بذكر كثير وبشيء من أشعاره وبعض مواقفه، منها أن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: قالت عائشة



بنت طلحة لكثير عزة: ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزة وليست على نصف من الحسن والجمال؟ فلو قلت ذلك فيّ وفي أمثالي فأنا أشرف وأفضل وأحسن منها، وكانت عائشة بنت طلحة قد فاقت النساء حسناً وجمالاً، وأصالة، وإنما قالت له ذلك لتخبره وتبلوه فقال:

ضحى قلبه يا عزّ أو كاد يذهل
وأضحى يريد الصوم أو يتبدل

وكيف يريد الصوم من هو وامق
لعزة لا قالُ ولا متبذل

إذا واصلتنا خِلةٌ كي تزيلنا
أبينا وقلنا الحاجبية أول

سنوليك عرفاً إن أردت وصالنا
ونحن لتيك الحاجبية أوصل

وحدثها الواشون أني هجرتها
فحملها غيظاً عليَّ المحمل

فقالت له عائشة قد جعلتني خلة ولست لك بخلة، وهلا قلت كما قال جميل فهو والله أشعر منك حيث قال:

يا ربِّ عارضة علينا وصلها
بالجد تخلطه بقول الهازل

فأجبتها بالقول بعد تستر
حبي بثينة عن وصالك شاغلي

لو كان في قلبي بقدر قلامةٍ
فضل وصلتك أو أتتك رسائلي

فقال: والله ما أنكر فضل جميل، وما أنا إلا حسنة من حسناته.. واستحيا.



ابن عربي يعترض على ابن أبي ربيعة!!

وابن عربي هو: أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي - من غير لام التعريف - كان مولده بالأندلس في مدينة مرسية سنة ٥٦٠هـ وكانت وفاته في دمشق سنة ٦٣٨هـ وفي الجانب الشعري من ثقافته وعلمه يُعدُّ واحداً من الشعراء الذين لهم مباحث في أقوال غيرهم من الشعراء ولهم فيها وجهات نظر. من ذلك أنه سجل في قصيدة له ملاحظة جعل منها قضية تخضع للدراسة والنقد.

وقبل أن أتناول تلك القضية، أرى أن أنقل بعضاً من أبيات القصيدة التي ضمن أبياتاً فيها اعتراضه على ابن أبي ربيعة، حتى وصل إلى نقطة ملاحظته.

والحقيقة أنها قصيدة جيدة، مضى يصف في مقدمتها ما به من شوق وعناء إلى أن قال:

من بنات العراق بنت إمامي
وأنا ضدها سليل يماني

هل رأيتم يا سادتي أو سمعتم
أن ضدين قط يجتمعان؟

لو ترانا برامة نتعاطى
أكؤساً للهوى بغير بنان

والهوى بيننا يسوق حديثاً
طيباً مطرباً بغير لسان



لـرأيـتـم مـا يَـذْهَـبُ الـعـقـل فـيـه

يَـمَـنٌ والـعـراق مـعـتـنـقـان

وبعد هذه الأبيات الواقعة في منتصف قصيدته، نرى ابن عربي قد سلط ضوء نقده على رأي عمر بن أبي ربيعة في عدم التقاء زوجين كل منهما قد عاش في جهة معاكسة للجهة التي عاش فيها الآخر، وذلك حينما تزوج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث التي كان عمر بن أبي ربيعة يتغزل بها في بعض أشعاره، فجعل ابن عربي في تحليله ما يؤيد توافقهما بكناية لطيفة، حيث نقل القضية برمتها إلى نجوم السماء ليجعل التوافق اللفظي منسجماً مع قول عمر بن أبي ربيعة ثم يذهب بالمعنى إلى منحنى آخر ليحكم بإسقاط استحالة توافقهما، فالنجم سهيل الذي موقعه دائماً في أقصى كبد الجنوب من السماء هو من جنس مجموعة نجوم الثريا التي يكون مسارها في الجهة الشمالية من كبد السماء، وأنه بحكم التجانس يكون الوفاق، ويسقط التعجب.

يقول ابن عربي في اعتراضه، بل تكذيبه لعمر بن أبي ربيعة:

كـذب الـشـاعـر الـذي قـال قـبـلـي

وبـأحـجـار عـقـلـه قـد رمـانـي

أيـا الـمـنـكـح الـثـريـا سـهـيـلاً

عـمـرك الـلّـه. كـيـف يـلـتـقـيـان

هـي شـامـيـة إذا مـا اسـتـقـلـت

وسـهـيـل إذا اسـتـقـل يـمـانـي»

○○○○○



الأخوان الخُوَّان

ما دار في خلدي أن أكتب موضوعاً عن جفوة بعض الإخوان لإخوانهم، أو جرأتهم على خيانتهم، والغدر بهم رغم ما هنالك من أدلة نموذجية قص علينا القرآن الكريم بعضاً منها، لكن خاطرة توقفت بي عند حديث سمعته من أحدهم أثناء جلسة أدبية كان للحديث عن الأصدقاء والإخوان شطراً من وقتها.. وكاد يكون هناك ما يشبه الإجماع على أن الصديق يكون في كثير من الأمور والحالات التي تتطلب المساندة مادياً ومعنوياً أفضل بكثير من الأخ، وتواردت أمثلة حَيّة على ذلك، واستشهد بأسماء معروفة في زماننا، وأشيد بوقوف أصحابها مع أصدقائهم وقوفاً لا يفعله أخو النسب مع أخيه.

قلت: ليس هذا بمستغرب إذْ لهم في الأمثال مثل يقول: «رب أخ لم تلده أمك»، وقالوا: «الصديق لا يعرف إلّا في وقت الضيق». ولا أريد هنا سرد الأمثلة الدالة على وفاء الأصدقاء بقدر ما أريد الإشارة إلى خيانة الإخوان التي تلحق الضرر بل ربما أودت بهلاك أخيهم لأنها ـ والمعنى بذلك الخيانة ـ أكثر ما تكون نابعة من الغيرة التي تملأ الصدر حقداً، وتوجد في النفس حنقاً فإذا واتت الفرصة فعلوا فوق ما يفعله صاحب الثأر والعدو المتربص.

ولقد وقف الشعراء من هذه الظاهرة موقف الباحث عن حل لها من ذلك ما جاء ضمن قصيدة الشاعر عبد الرحيم بن أحمد البرعي اليمني من علماء القرن الخامس الهجري التي امتدح بها الفقيه أحمد بن أبي بكر القرشي، واستهلها بقوله:



ما ضر وَجدُ الهوى العذريِّ لو هانا
عن قلب صب أطاع اللهو ولْهانا

ومنها قوله:

تاجرتُ بالشعر أبغي الربح فانعكست
حالي عليّ فعاد الربح خسرانا

وخانني من أُصيحابي وغيرهم
من لم يكن قبل صفر الكف خوّانا

قالوا: أتشكوا من الإخوان قلت: وما
أفاد كون بني يعقوب إخوانا

ألقوا أخاهم على قرب الرحامة في
غيابة الجب باكي العين حيرانا

وبعدُ باعوه عبداً آبقاً ورموا
به على غير جُرم ذئب كنعانا

وكم رجال كثيرٍ كنتُ آملهم
ولم يزل لابس الآمال عُريانا

لا يورق العود من رعد بلا مطر
إذْ ليس يُرْوِي سرابُ القاع ظمآنا

○○○○○

الاعتراف بالذنب مفتاح لباب العفو

والإنسان عندما يرتكب خطأ بحق إنسان آخر ويريد منه أن يسامحه. ويصفح عنه فإنه يأتي إليه ويعترف بخطئه ليجعل من اعترافه مفتاحاً لطلب العفو عما بدر منه، هذا فيما يختص بعلاقة الإنسان مع الإنسان، أما فيما ترتبط بعلاقة الإنسان مع الله فإن ذلك أجدى وأنفع، وأزكى وأطيب، فطلب العفو والمغفرة والرحمة من الله لا يقارن بأي طلب من سواه.

ونحن إذا ما نظرنا بإمعان إلى أفعالنا وأعمالنا، وأقوالنا، وجميع تصرفاتنا المحسوسة والملموسة في حياتنا العامة، وجدناها لا تخلو بأي حال من الأحوال من الذنوب سواء ما صغر منها وما كبر، ولهذا ندب القرآن الإنسان المسلم بأن يكثر من طلب العفو والمغفرة وذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وذلك مثل قوله تعالى في سورة الشورى آية ٢٥: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ويقول تعالى في الآية ٣٠ من سورة الشورى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ وقال تعالى في ختام سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وقال تعالى في سورة النساء آية ٦٤: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾. لكن الاعتراف بالذنب له أوان وأوانه الحياة التي هي المهلة لطالب العفو،



وهي الفرصة المتاحة والاستغفار والعمل المقرب لمرضاة الله، أما إذا انقطعت الحياة فلم يعد هناك إلا حساب ونشر صحائف لا يجدي معها ترحم واستغفار إلّا أن يشاء الله.

ومما يستحسن لهذا الموضوع من الشعر، قول الشاعر عبد الرحيم بن أحمد البرعي اليمني من قصيدة امتدح بها النبي ﷺ، وقد استهلها بجملة اعترافات بذنوبه، وذلك بقوله:

أروح وأغدو شارباً كأس غفلة
بماء الأمانيّ الكواذب تمزجُ

وأمسي وأضحي حاملاً في بطاقتي
ذنوباً تكاد الأرض منهن تخرجُ

إذا قلت للنفس استعدي بتوبة
أبت وشقى الحظ لا يتَحَجَّجُ

وإن قلت للقلب استقم به تعرضت
له شهوات نارها تتأجج

فكم أتزيَّا بالعبادة والتقى
رياء وباب الرشد عنّي مُرْتج

أريد مقام الصالحين وليس لي
كمنهجهم في الدين دين ومنهج

وإن حضر الإخوان للذكر والبكا
حضرت كأني لاعب متفرج

فواخجلتي شيب وعيب وقد دنا
رحيلي ولا أدري علام أعرّج

○ ○ ○ ○ ○

من الفرد يتكون المجتمع

والأفراد هم قوام الجماعة. والجماعة قوام الرعية التي تتطلب قيام دولة تقوم بالتشريع والإصلاح وحراسة القانون، وحماية الفرد.

يقول الشاعر الشيخ محمد الخضر حسين بن علي بن عمر شيخ الجامع الأزهر المولود عام ١٢٩٢هـ والمتوفى عام ١٣٧٧هـ من قصيدة له:

وإنــمــا الــشــعــب أفــراد مــؤلــفــة
في هيئة الفرد ذو قلب وذو جسد

وائتلاف الأفراد يشكل بطبيعة الحال قوة تشكل دولة عظيمة مرهوبة الجانب وإلى ذلك أشار الشيخ محمد الخضر في نفس القصيدة بقوله:

والعزّ في الدولة العظمى إذا بُنيت
عــلــى أســاس مــن الأحــكـام مــطــرد

وحماية الفرد الذي تكونت منه الدولة ملقى على عاتق الدولة نفسها فلا تجعل لأحد على أحد سلطة غير نظامية، بل تقف بكل حزم وصرامة إلى جانب التشريع الذي لا يسمح لأحد أن يعتدي على أن تنصر الحق وتلزم الناس باتباعه، يقول الخضر في نفس القصيدة:

تـحـمـي حـقـوق بـنـي الإنـسـان قـاطـبـة
لا يـعـتـدي أحـد مـنـهـم عـلـى أحـد

وإذا كانت السلطة والرعاية قائمة بالتماسك مع الرعية والحكومة فإن استمرارية الدولة كسلطة تنفيذية يبقى ويقوى إذا كان الرأي شورى والتكامل المادي قائماً، يقول الخضر من القصيدة نفسها:



إن الرعية أعضاء مساعدة
للحك بالرأس والأموال والحشد

ومن حكمة الحكومة أن تجعل من أعيان الرعية وأفاضلها مجلساً للشورى تعهد إليه في الأمور التي تتمشكل ويتطلب حلها توحيد الرأي السليم يقول الخضر في قصيدته:

كذا المشاكل لا تجلو غوامضها
إلّا بمجلس شورى راسخ العُمُد

والمشكلة التي تصادف وتلقى بها إلى مجلس الشورى تكون في حد ذاتها وحينما تتعاورها الآراء شبيهة بالكرة التي تتقاذفها الأقدام حتى تستقر في المرمى، يقول الخضر في قصيدته:

فَمِن تَصَادُمِ أفكار الرجال يُرى
برق الحقيقة وضاحاً لذى رصد

والدولة التي تجعل من الرعية سنداً لا تألو جهداً في سبيل رفع مستوى الكتاب والسياسيين، يقول الشيخ الخضر في قصيدته:

والقابضون على أمر السياسة لا
يسرهم أن تُرى الأقلام في صفد

لأن المسؤولين في الدولة يدركون أن المحافظة على النظام والمساعدة على تطبيقه لا بد أن يلقى على الرعية جزء منه حتى لا تكون الرعية بمثابة الجاهل الذي لا يعرف معنى للنظام، أو البهيمة التي لا تدرك من الأمر شيئاً يقول الشيخ الخضر في نفس القصيدة:

يسمو بهم شرف الوجدان أن يضعوا
نظامهم بمكان العير والوتد

هذه قطوف من قصيدة الشيخ الخضر التي تبلغ ٢١ بيتاً، وقد تضمنها ديوانه «خواطر الحياة».



فلسفة في الزجاج!!

والكأس الذي هو بين أيدينا ننزعه ماءً بارداً في الصيف وماءً معتدلاً في الشتاء ونرتشف من حافاته أعز مطلوب وأرخص موجود ـ وهو الماء ـ هو أخ الكأس الذي بين يدي أهل الفسق والفجور يترعون خمراً يذهب بعقولهم. ويهدم أخلاقهم ويحبط أعمالهم. ويهبط بمداركهم إلى عالم الحيوان.

وإذا ما نظرنا إلى أهل هذا الكأس فإن البحث يدلنا على أنه مستخلص من التراب الذي هو خليط من عدة مركبات جزئية لا تخلو من وجود ذرات من رفات الإنسان، والكؤوس الزجاجية إذا تحطمت فإنه يعاد صنعها وفقاً لما تحتاجه السوق المستهلكة فقد يكون الإقبال على شراء المحابر فتصنع منه المحابر التي ربما وصفت بأنها عيون العلم لكونها تمد الأقلام بالحبر. فيحصل التدوين والتأليف.

ولقد صور الشيخ محمد الخضر شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٣٧٧هـ والمولود عام ١٢٩٣هـ جانباً من هذه الفلسفة المنطقية في مقطوعة شعرية جاء فيها قوله:

إن هذا الزجاج يُصْنَع كأساً
ليبيتَ الحليمُ منّا سفيها

ويصوغ الدواة من بعد كأس
ليصير الجهول حبراً نبيها

فهو كالفيلسوف ينفث غيّاً
ثم يأتي بما يروق الفقيها



وهذه الأبيات موجودة في ديوان الشيخ محمد الخضر حسين بن علي بن عمر «خواطر الحياة». الذي حققه وعلق عليه الأستاذ علي الرضا التونسي. والديوان مليء بالقصائد الوطنية والاجتماعية كما أنه لا يخلو من الحكمة والفلسفة، وهو كثيراً ما يخاطب قومه ويحثهم على مناهضة الأعداء. وفعل الخيرات. والتوجه إلى الله. وما إلى ذلك من الأساليب التي ينتهجها الدعاة. ومن قصيدة له يذكر فيها مفاخر الأجداد. ويستحث الأحفاد على ترسم خطاهم ترسماً عملياً تبرز فيه الأفعال. دون الاكتفاء بذكر مآثرهم يقول في مثل ذلك:

أمة يُذكي التقى غَيْرَتَها
مثلما يُذكي النّدِي نار قراها

أو يُجِدي مَجْدُ أسلاف إذا
غرقتْ أجفانُ خَلْفٍ في كراها

أمة تلهو بذكر تالدٍ
عن طريفٍ لم ترمْ عَهْدَ صباها

فابعثوها هِمماً تسمو كما
سمت الجوزاء تزهو في سناها

ما الفخار الحقُّ إلا نهضةٌ
أحكم الإيمان والعلم عراها

ㅇㅇㅇㅇㅇ

تصوف ابن عربي أودى بحياته!!

ولا يختلف اثنان على تفاوت عقول الناس وما يرتبط بذواتهم. فالناس في العلم والمعرفة ليسوا على درجة واحدة بل هم مختلفون في بلوغ درجات العلم. وليسوا في الفكر سواء فهناك من يعرف بالعامة والخاصة، وبينهما طبقة أو قل طبقات يتميز بعضها عن البعض الآخر في السذاجة والنباهة وكل ما يتصل بالتفكير، وهم أيضاً ليسوا على درجة واحدة من العقل وما لا يتصل به. ولذا نجد أصنافاً كثيرة تلحق بها أوصاف مختلفة عندما يمر ذكرها. وذلك كأن يقال: فلان عالم. وفلان جاهل. وفلان حليم وفلان أحمق، وفلان شجاع، وفلان جبان، وفلان غبي وفلان ذكي، وفلان لئيم، وفلان كريم، وفلان سخي، وفلان بخيل، وما إلى ذلك من الأضداد التي لا حصر لها مثل: العقل والجنون، والكفر والإيمان، والصدق والكذب، والوفاء والخيانة، والصبر والملل، والمطوعة والمعصية، والتواضع والكبر، والجد والهزل، والحرص والتفريط، والجمال والقبح.

والحكيم من الناس من يعرف فئات الناس فيتعامل مع كل فئة بقدر ما تستوعبه مداركهم من أنواع التعامل قولاً كان أو فعلاً.

روى البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله» فالخطيب مثلاً يلزمه معرفة مقدار ما تدركه الأذن المصغية له. وتتقبله النفس المقبلة عليه، فلا يخاطب العامة بما يخاطب به الخاصة. ولا يحدثهم بما يحتاج إلى تأويل بعيد عن أذهانهم، ولا بما يحتاج شرحه إلى فلسفة ينكرها فهمهم.



وأكثر الذين يقعون فريسة تعاليهم. هم الصوفية الذين يلحدون في ظاهر أقوالهم. ثم يذهبون في ذلك إلى تفسيرات لا يقنع إلّا متصوف اختار لنفسه السقوط من قمة الوضوح الإيماني ونقاء البيان العقيدي، وذلك مثل ما حدث لابن عربي واسمه.. أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي والمولود في الأندلس عام ٥٦٠هـ والمتوفى سنة ٦٣٨هـ حينما شطح به تصوفه أمام العامة فقال: «أنتم وما تعبدون تحت قدمي». ففهم العامة جملته على ظاهرها فقتلوه، وباطن الجملة أن الناس يعبدون المال. ويروى أن الكسائي وهو العالم اللغوي المتوفى سنة ١٨٢هـ قد حلف ألا يكلم عامياً إلا بما يوافقه ويشبه كلامه. ومن المعاني الصوفية في شعره الذي جعل ظاهره غزلاً. وله تأويل لا يدركه إلّا هو وإضرابه الصوفيون قوله:

مرضي من مريضة الأجفان
عللاني بذكرها عللاني

هفت الورق بالرياض وناحت
شجو هذا الحمام مما شجاني

بأبي طَفْلَةٌ لعوب تهادى
من بنات الخدور بين الغواني

طلعت في العيان شمساً فلمّا
أَفَلَتْ أشرقت بأفق جناني

يا طلولاً برامة دارسات
كم رأتْ من كواعب وحسان

بأبي ثم بي غزال ربيب
ترتعي بين أضلعي في أمان



يـا خـلـيـلـيّ عـرجـا بـعـنـانـي
لأرى رســم دارهــا بــعــيــانــي
فـإذا مـا بـلـغـتـمـا الـدار حـطـا
وبـهـا صـاحـبـيّ فـلـتـبـكـيـانـي

○ ○ ○ ○ ○

وجوب تفهيم النشئ بعدالة التشريع الإسلامي!!

والحياة كما نعرفها ميدان تتصاول فيه النفوس، وتجتال في حلبته الآراء في انسياب وانعكاس وتداخل يجعل الناس منقسمين على أرضيته أقساماً متعددة الاتجاهات ومتباينة في الفكر والمعتقدات، والتقليد والعادات.

وقف الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر، وألقى نظرة على تعدد الديانات وما يحكمها من قوانين متباينة الأحكام. ليثبت لأصحاب المذاهب والفرق المختلفة أنه ليس كمثل الدين الإسلامي دين. ولا كمذهب الإسلام مذهب. فقال ذلك شعراً منه قوله:

وحياة الإنسان في ميدان حرب
ما له عن ورودها مناص

وأخو الدين يحتمي من أذاها
بحسام عضب ودرع دلاص

وليحقق بأن الدين الإسلامي هو الذي يمنح العقل طموحاته، وهو بأحكامه وبقوانينه وسماحة تشريعاته يكفل السعادة، ويحقق الإنصاف لجميع البشرية بلا استثناء، فهو عام لا يخضع لدولة، ولا لأي ظرف زماني أو مكاني. لأنه قانون سماوي. قال تعالى في سورة البقرة الآيات ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ



﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

ويقول الشيخ محمد الخضر من القصيدة نفسها:

إنما الدين عزة وعفاف
يصرف الطرف عن وجوه المعاصي

وحجاج مثل القواضب إن لم
يك إلّا اليقين وَجْهَ الخلاص

وقوانين إن تصدت لفصل
أخذت بالقلوب لا بالنواصي

لو تراءت للعين يوماً لقلنا
هل لهذا الجمان من قناص

وحتى لا ينساق نشؤنا خلف بهارج المذاهب التي تعادي الإسلام بالتستر حينا وبالمجاهرة حيناً آخر وتنافي أحكامه بقوانينها الوضعية. وتعصي تعاليمه. فإنه لا بد أن نزرع في قلوبهم حب الإسلام. ونوضح لهم عدالة الإسلام. ونقارن لهم بين القوانين الوضعية المقصرة عن حماية الإنسان وحفظ حقوقه وصيانة عرضه. والقوانين السماوية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، يقول الشيخ محمد الخضر من القصيدة نفسها:

فمن الخير أن يشب على آ
دابه نشؤنا بغير خصاص

ويح نشئ من الصَّباء بطان
ومن الرشد والتقاة خماص

○○○○○

من طريف أخبار كثير عزة

والمصادر التي اهتمت بأخبار كثير عزة ليست بالقليلة، ولم تبخل علينا بالكثير منها خاصة منها كتب التراجم. ولعل أكثر ما قرأته من أخبار كثير هو ما جاء في كتاب «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير، والأكثر منه هو ما ضمه كتاب الأغاني لأبي فرج الأصبهاني.

ومما ذكره الأصبهاني من طريق أخبار كثير قوله: كان كثير آتيه الناس وأذهبهم بنفسه على كل حد.

وقال محمد بن سلام الجمحي سمعت ابن أبي حفصة يقول: كان كثير يستقصي المديح، وكان مع جودة شعر خطل وعجب.

وروى أن المسور بن عبد الملك كان يقول: ما ضر من يروي شعر كثير، وجميل أن لا تكون عنده مغنيتان مطربتان.

ويروى عن الزبير بن بكار أنه قال: حدثني عمي قال: قال كثير: ما قلت الشعر حتى قولته: قيل له: وكيف ذاك؟ قال: بينا أنا يوماً نصف النهار أسير على بعير لي بالغميم أو بقاع حمدان إذا راكب قد دنا مني حتىٰ صار إلى جنبي. فتأملته، فإذا هو من صفر وهو يجر نفسه في الأرض جراً، فقال لي قل الشعر وألقاه علي. قلت: من أنت؟ قال: أنا قرينك من الجن. فقلت الشعر.

ويروى أن سائباً راوية كثير قال: خرجت معه نريد مصر فمررنا بالماء الذي فيه عزة، فإذا هي في خباء فسلمنا جميعاً فقالت عزة: وعليك السلام يا سائب. ثم أقبلت على كثير فقالت: ويحك ألا تتقي الله أرأيت قولك:



بـآيــة مــا أتــيــتــك أم عـــمـــرو
فقمت لحاجتي والبيت خالي[1]

أخلوتُ معك في بيت أو غير بيت قط؟ قال: لم أقله ولكنني قلت:

فـأقـسـم لـو أتـيـت الـبـحـر يـومـاً
لأشـرب مـا سـقـتـنـي مـن بـلال

وأقـــســـم أن حـــبـــك أم عـــمـــرو
لـداء غـيـر مـنـقـطـع الـسـؤال

قالت: أما هذا فنعم. قال: ثم عدنا فقال كثير: عليك السلام يا عزة. فقالت عليك السلام يا جميل: تعني بذلك جملة لأنه ما زال في نفسها عليه شيء فقال كثير:

حَيَّتْكَ عزةُ بعد الهجر فانصرفت
فحي ويحك من حَيّاك يا جمل

لو كنتَ حييتها ما زلت دامقة
عندي وما مَسَّك الإدلاج والعمل

ليت التحية كانت لي فأشكرها
مكان (يا جمل) حييت يا رجل

ولقد وصف كثيرٌ عزةَ في بعض شعره بأنها مطالة بالوعد وليست بالوفية فيما تعده به من لقاء يطلعها فيه على ما به من شوق إليها، من ذلك قوله:

أقـول لـهـا عُـزيـز مـطـلـتِ دَيْـنـي
وشـر الـغـانـيـات ذوو الـمـطـال

فـقـالـت ويـح غـيـرك كـيـف أقـضي
غـريـمـا مـا ذهـبـتُ لـه بـمـال

---

(١) أم عمرو كنية لعزة معشوقة كثير.

من أساليب خيانة الوطن

يقف الصادق في الانتماء إلى وطنه مبهوتاً عندما يسمح أن أحداً من الناس قد خان وطنه ودمر أهله، لأنه ـ وأعني ذلك المستغرب ـ كان مواطناً صالحاً يقيس الناس على نفسه. وخيانة الوطن تعد من أكبر الجرائم التي تعاقب عليها جميع الدساتير الوضعية وغير الوضعية. وخيانة الوطن تأتي من عدة قنوات منها السياسية والعسكرية والعقيدية وما تشتمل عليه من أخلاقيات. وما يدخل تحت مفهوم الأطماع المادية مما ينافي حب الوطن الذي يعد من الإيمان.. والتعامل مع هذه الأشياء. وفي مجالاتها بما فيه مصلحة الوطن. يعد من أقوى التحصينات التي يصعب على الأعداء اختراقها أو تجاوزها ما لم يكن لهم عملاء خونة من داخله يدلونهم على الطرق المؤدية إلى تعطيل هذه القنوات تعطيلاً يسهل تقبّل وتشريد أهله.

وأهل الحكمة يصفون العدو الذي تمنعه السياجات والتحصينات بالسلاح الذي ليس له أنصبة ولا مقابض، ويصفون الخونة الذين يتسللون من داخل تلك السياجات والحصون ويُسِرُّون للأعداء بمواطن الضعف، أو ساعة الغفلة، أو ما إلى ذلك من الأمور التي تفتح للعدو باباً كان لا يفكر في طرقه لاعتقاده بأنه محكم الإغلاق بالأنصبة والمقابض التي تجعل لسلاح العدو فاعلية تهدّ كل حصن وسياج.

والذي يتتبع نجاح المحاصرة التي يفرضها عدو على آخر يجد أن هناك أدلّاء أفضوا للمحاصر ـ بكسر الصاد ـ بمعلومات استفاد منها في كسر طوق التحصينات التي وقف أمامها عاجزاً.



قال فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٣٧٧هـ قصيدة حول هذا الموضوع. وقد جعل عنوانها: «خائنوا أوطانهم» وهي:

عُجتُ يوماً برياض أجتني
عِبراً مما أرى أو أسمعُ

فلمحتُ الفأس ملقاة ومِنَ
حولها أعناقُ دوح خضّع

دوحةٌ تلحظها قائلة
والأسى ساورها والفزع

هذه قاصمةُ الظهر متى
نزلت بالدوح حان المصرع

فأجابت جاره تُطفئ مِن
روعها والروع نارٌ تلذع

لا يَرُوعَنْكَ الحديد الصُّلبُ في
أرضنا ينحط أو يرتفع

فهو ما لم يلق من أعوادنا
عَضُداً يُسْعِدُهُ لا يقطع

قلت: مرحى.. حكمة لو ساغها
خائنو أوطانهم لارتدعوا

○ ○ ○ ○ ○

جمع التكسير

والعالم إذا كان شاعراً فإنه كثيراً ما يصنع قواعد بعض علمه في قصيدة أو منظومة يتيسر على الدارس فهمه، وذلك مثل منظومة ألفية ابن مالك في النحو مثلاً أو غيرها من المنظومات الشعرية التي خدم بها أصحابها طلبة العلم والباحثين.

وقد كان الكثير منهم ـ وأعني بذلك العلماء ـ يقصد بذلك تسهيل حفظ قاعدة علمه أو جزءاً من علمه. لأن الشعر بموسيقاه يكون أقرب إلى الحفظ، وأمكن في الذاكرة.

ولا أريد في هذه العجالة استعراض نماذج كثيرة مما خلفه العلماء من أشعار توضح بل تبسط علمهم لتلامذتهم، وإنما أكتفي في هذا بنقل ما قاله حيدره واسمه علي بن سليمان اليمني النحوي التميمي الذي كان يعد من وجوه أهل اليمن وأعيانهم. علماً. ونحواً. وشعراً. والذي كان مولده ببلاد بكيل من أعمال ذمار، وبكيل كما جاء تعريفه في «معجم الأدباء» مخلاف من مخاليف اليمن سمي باسم بكيل بن جشم. أما وفاة حيدرة فكانت سنة ٥٩٩هـ ومن شعره الذي حصر فيه جمع التكسير. وجعله ما يشبه القاعدة النحوية لجمع التكسير من حيث ذكر عدد أوزانه. بالإضافة إلى سياقة أمثلة من التفعيلات. وتمثيلها في كلمات تقاس بها. ويَسْهُلُ بها في نفس الوقت حفظها. هذه الأبيات:

سألتَ عن التكسير فاعلم بأنها
ثمانية أوزانُ جمع المتكَسَّرِ



فــأربــعـــةٌ أوزانُ كـــلَّ مـــقـــلـــل
وأربـــعـــةٌ أوزانُ كـــلَ مُـــكـــثّـــر

فِـعَـالٌ وأَفْـعَـالٌ وفُـعْـلُ وأفْـعَـلٌ
وأفْـعِـلَـةٌ مـنـهـا وفِـعْـلَانُ فـانـظـرِ

ومـنـهـا فُـعُـولٌ يـا أخَـيَّ وفِـعْـلَـةٌ
وتـمـثـيـلـهـا إن كـنـت لـمـا تَـصَـوَّرِ

جـمـالٌ وأفـراسٌ وأسـدٌ وأكـبـشٌ
وأكـسـيـةٌ حُـمْـرٌ لـفـتـيـان حِـمْـيَـرِ

أتـونـا عـشـاء فـي رُبُـوعٍ لـفـتـيـةٍ
مِـن الـتـغـلـبـيـين الـكـرام ويَـشْـكُـرِ

وكـلُّ خُـمـاسِـيّ إذا مـا جـمـعـتـه
فـآخـره فـاحـذف ولا تـتـعـثّـر

فـتـجـمـع قِـرْطَـعْـبـاً قَـراطِـعَ سـالـكـاً
بـه مـسـلـك الـجـمـع الـرُّبـاعـي الـمـكَـثَّـرِ

○ ○ ○ ○ ○

وجبة غذاء يصفها الشعراء!!

والذي يقرأ الشعر الذي يتضمن ذكر ألوان الأطعمة، ربما يسيل لعابه إذا كان جائعاً.. وذلك بعدما يتصور المائدة، وقد اصطفت صحونها المملوءة بالمطبوخ والمشوي والمقلي وكل ما لا يحتاج أكله إلى مشهيات ومقبلات.

وبعض الشعراء تكون له مقدرة على دقة وصف المأكولات الشهية فيجعلك وأنت تقرأ شعره الوصفي تتخيل أمامك المائدة التي وصفها. أو تتصور أنه يجالسك إليها. ويؤاكلك منها. وينادمك في حضورها.

قال أبو هلال العسكري ذاكراً اللحم والحلوى، والثريدة باستعذاب يفتح الشهية:

تركتُ سمين اللحم يبيضُّ بعضه
ويحمرُّ بعض. خلطك الدر بالتبر

وأعرضتُ عن حلواء شق فنونها
فبيضٌ إلى حمر وحمرٌ إلى صفر

إلى ثردة ربطاء قطع فوقها
مقنعة خضراء في ورق خضر

واللحمُ واحد من المأكولات التي يفضلها الإنسان، بل يعتبر من أطايب الطعام.

وفي الحديث: «من ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه».

والطهاة لهم أساليب متعددة ومتنوعة في إعداد اللحم. بل إن



للطباخين تفنناً في تحضيره وطرقاً مختلفة في تجهيزه للأكل:

وهاجس الشعرء حينما يميل بهم إلى عالم الطباخين ومقار الطباخة نجده يأتي على ذكر بعض أوصاف اللحم المهيأ للأكل. وكيفية تناوله. وذلك مثل قول الشاعر العباسي ابن الرومي واسمه أبو الحسن علي بن العباس بن جريج المولود عام ٢٢١هـ والمتوفى سنة ٢٨٣هـ في دجاجة مشوية، وهو قول يعد من أشهر ما قيل في هذا الخصوص:

ظللنا نقشّر جلدها عن لحمها
فكأن تبراً عن لجين يقشر

يا حسنها فوق الخوان وبنتها
قدّامها بصهيرها تتغرغر

وتقدمتها قبل ذاك ثريدة
مثل الرياض بمثلهنّ يُصدّر

ومدققات كلهن مزخرف
بالبيض منها ملبسٌ ومدنّر

وأتت قطائف بعد ذاك لطائف
ترضى اللهاةُ بها ويرضى الحنجر

○○○○○

وقفة مع المكاتبة بالشعر

وللمكاتبات بالشعر لون خاص تتميز به صفحات التراث الأدبي عما سواه من المراسلات بل إنه يمغنط الصفحات مغنطة تجعل القراء يتهافتون على قراءتها.. وفي مجال الرواية. وجدت عناية فائقة من حيث التداول بين الرواية والمتلقي.

وإذا كان لا بد لنا من وقفة على نموذج من المكاتبات الشعرية التي يتخللها شيء من المداعبة بالإسلوب الذي ترتفع منه الكلفة، وتمضي بها السجية إلى مستوى الأدب الذي لا يعرف عامل التصنع وإنما يتم بعامل السليقة وصفاء النفس، فإن أقرب شيء أتناوله هو ما جرى بين ابن الفضل محمد بن العميد، وبين ابن خلاد.

وحكاية هذه المكاتبات يرويها الثعالبي في كتابه «يتيمة الدهر» وفيها ما يبين أن ابن خلاد كان قد أهدى شيئاً من الأطعمة وكتب إليه في وصفها. وابن العميد إذ ذاك في عقب مرض عرض له. لكن ابن العميد فيما يبدو لم يستطبها. فكتب إلى ابن خلاد قصيدة طويلة منها قوله:

قل لابن خلاد المُفْضي إلى أمد
في الفضل برّز فيه أيَّ تبريز

ماذا أردت إلى منهوض نائبةٍ
مُدَفّع عن حمى اللذات ملهوز

هززت بالوصف في أحشائه قرماً
ما زال يهتز فيه غير مهزوز



ومنها يقول:

أهديت نبرمة أهدت لآكلها

كرب المطامير في آب وتموز

قال الثعالبي: «نبرمة» لست أعرفها، وأظن أنها شيء يجمع من الحبوب ويدق ويعجن بحلاوة.

ومنها قوله:

ما كنت لولا فسادُ الحسن تأمل في

جنس من السمن في دوشاب شهريز

والشهريز: والسهريز بالضم والكسر: نوعان من التمر.

أما ابن خلاد فإنه لم يتوان عن إجابة ابن العميد بقصيدة أظهر فيها شيئاً من طلب غرض النظر عنه. والمجاراة بالتسامح.. منها قوله:

يا أيها السيد السامي بدوحته

تاج الأكاسر من كسرى وفيروز

أتى قريضك يزْهى في محاسنه

زهو الربى باشرت أنفاس نيروز

يا حسنه لو كفينا حين يبهجنا

خطب النبارم فيه والشواريز

○○○○○



تقريض كتاب ابن خلاد في قصيدة لابن العميد!!

ومعظم أصحاب الأقلام لا يتوانى عن تقريض ما يهدى إليه من مؤلفات، وعرضة تحت مجهر النقد.

وهذا نهج يطمع فيه المؤلف الذي يرغب في إبداء الملاحظات على ما ألفه. بل إنه يُسر بسماع ما يدور حول مؤلفه من آراء، وأفكار ليأخذ في تحاشيها وعدم تكرارها.

لكن هناك بعض المؤلفات التي يجوز فيها التظرف. ومداعبة مؤلفيها خاصة منها ما يشتمل على ما يرتبط بالأشياء الملموسة كالمأكولات والمشروبات والملبوسات بل ربما كان تقريضهم كله مداعبة لمؤلفيها.

وأمثال المؤلفات التي تم تقريضها بالأساليب الشعرية الدعابية ما ذكره الثعالبي في كتابه «يتيمة الدهر» من أن ابن خلاد القاضي واسمه: أبو محمد الحسن بن عبد الرحمٰن بن خلاد الرامهرمزي الذي أهدى إلى ابن العميد واسمه: أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسن بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد والمتوفى في بغداد سنة ٣٦٠هـ كتاباً في الأطعمة فقرأه ابن العميد قراءة فتحت شهيته للأكل رغم أنه كان إذ ذاك ناقهاً من علة.. لكنه ـ والمعنى بذلك الكتاب ـ لا يشبع جائعاً. ولا يطرد قرماً، ولا يسمن ضعيفاً.

ومما يستطرف من العبارات المرتبطة بموضوع الكتاب. والواردة في ذلك التقريض الشعري قول ابن العميد:

فكم هاج من قرم ساكن
وأوضح من شهوة مبهمة



وأرث في كبدي غلة
من الجوع نيرانها مضرمة

وقوله منها:

وهلّا أضفت إلى ما وصفـ
ـت شيئاً نهشُّ لأن نطعمه

وقوله منها:

تعدُّ من الجود وصف الطعام
ولست تقول بأن تطعمه

والقصيدة طويلة جداً فهي تقرب عن أربعين بيتاً. لكن ابن خلاد لم يناسبه هذا التقريض وكان شاعراً فرد على ابن العميد وبقصيدة استهلها بقوله:

هلم الصحيفة والمقلمة
وادن المحيبرة المفعمة

ومنها قوله:

ألّا حبذا ثم يا حبذا
كتابي المصنف في الأطعمة
كفانا به اللّه ما راعنا
بعلة سيدنا المؤلمة
أطاب الحديث له في الطعام
ففتق شهوته المبهمة

○ ○ ○ ○ ○

بين كثير عزة والحزين

ما من شاعر مرموق إلّا وتكون له مع شعراء عصره بعض المطارحات الشعرية، أو التهاجي أو المداعبة، أو ما إلى ذلك من الأشياء، كالمراسلات الشعرية التي تجري بينهم في استثارة ذكريات مضت لهم. أو غير ذلك مما يترجمه واقع الحال القائمة، والعلاقة الرابطة بينهم، فتتناقله الرواة، ويصبح أدباً تحفل به كتب التراث.

والشاعر كثير عزة لم يكن أقل شأناً في هذه الناحية. بل هو من المتقدمين في صنعها. فقد كان له من ذلك نصيب استحق التدوين. وكُتب له البقاء.. فمن ذلك ما جاء في كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصبهاني، حيث روى ما قاله محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الديليين قال: التقى كثير عزة والحزين الدؤلي بالمدينة في دار ابن أزهر في سوق الغنم فضمهما المجلس، فقال كثير للحزين: ما أنت شاعر يا حزين إنما توصل الشيء إلى الشيء، فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوك؟ قال: نعم. وكان كثير قبل ذلك قد انتسب إلى بني الصلت بن النضر بن كنانة فهجاه الحزين بقوله:

لقد علقت زب الذباب كثيراً
أساود لا يطنينه وأراقم

قصير القميص فأحسن عند بيته
يعض القراد باسته وهو قائم

وأما أنتمو منا ولكنكم لنا
عبيد العصا ما ابتل في البحر عائم



وقد علم الأقوام أن بني استها
خزاعة أذناب وأنا القوادم

ووالله لولا الله ثم ضرابنا
بأسيافنا دارت عليها المقاسم

ولولا بنو بكر لذلت وأهلكت
بطعن وأفنتها السيوف الصوارم

قال: فقام كثير فحمل عليه فلكزه، وكان الحزين طويلاً أيداً. فقال له الحزين: أنت عن هذا أعجز واحتمله فكان في يده مثل الكرة فضرب به الأرض. فخلصه منه الأزهريون.. فبلغ ذلك الطفيل بن عامر بن وائلة وهو بالكوفة، فأقسم لئن ملأ عينه من كثير ليضربنه بالسيف. أو ليطعننه بالرمح. وكان خندف الأسدي صديقاً للطفيل، فطلب الطفيل في كُثير واستوهبه إياه فوهبه له. والتقيا بمكة وجلسا جميعاً فقال: أما والله لولا ما أعطيت خندفاً من العهد لوفيت لك.

قلتُ: وما نقل رد لكثير على ذلك ولعله لا يجيد الهجاء إيجادته للمديح والغزل.. ومن نماذج مديحه ما قاله من قصيدة امتدح بها عمر بن عبد العزيز حينما ولي الخلافة وأذن لكثير بالدخول عليه وإنشاده:

فلما أتاك الملك عفواً ولم تكن
لطالب دنيا بعده في تكلم

تركت الذي يغني وإن كان مونقاً
وآثرت ما يبقى برأي مصمم

○ ○ ○ ○ ○



صورة كانت واضْمحلّت!!!

إن رسم الصورة لحياة الذين يعملون بصمت. ويكتمون ما يخالج نفوسهم من بؤس وأسى، ويظهرون لمن يقابلهم بشاشة، وابتسامة، وكأنما نفوسهم خالية من المشكلات التي تثقل الكاهل وتحطم القوي.. قد أصبح ضرباً من الخيال، وشيئاً لا يصدقه الكثير من الناس.. بل إن الناس الذين أصبحت حياتهم قائمة على أساس مادي يقتحم صمته أي خلل في ميزان اقتصادهم.. ولا يجعلون عقولهم خلف ألسنتهم لحظة واحدة يراجعون فيها ذواتهم، ويستصحبون الحسنى في تعديل موازين سير سلفهم ومقاييس الذين يكظمون الغيظ. ويعفون كثير من مستحقاتهم إذا رأوا أن في الحصول عليها مشقة وعناء. حتى وإن تحسرت نفوسهم بسبب ذهابها فإنهم يتخذون من السكوت مطية مسلية لهم. وقنطرة يمرون عليها أمام الناس وكأنهم في حالة عادية لا تظهر عليها سمة التأثر، ولا علامة الكآبة، وإنما بشر وحسن استقبال، وتلطف في اللقاء.

ولقد رسم الشاعر السعودي المعاصر أحمد إبراهيم غزاوي المولود في شهر ربيع الأول عام ١٣١٨هـ، بمكة المكرمة، والمتوفى ليلة الأحد ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٤٠١هـ بمكة المكرمة حيث دفن في مقبرة المعلى.. أقول لقد رسم هذه الصورة التي كانت موجودة ثم اضمحلت وقل وجودها في حياتنا المعاصرة ـ حياة المادة ـ في أبيات جميلة منها قوله:

إن المهذب من يلقاك في مرح
وقلبه بالذي يصلاه مفطور



تخفي سرائره - الأيام - عاصفة
وثغره باسم والوجه محبور

ويعلن البشر مهما اشتدّ موغره
واشتط وهوله من ناره النور

ينوء من حمله الأعباء كاهله
من حيث ما هو يبدو وهو مسرور

إذا العيون إليه استشرفت ورنت
قرت به وتراءى وهو مقرور

بينا تكون به الأسقام عاتية
وشجوه الشجو مقعود ومنثور

للّه ما هو فيه من مكابدة
ومن مصابرة من دونها النِيُر

هذا المهذب لا المهذار منتضحاً
باللغو وهو ولوغ فيه مسعور

أليست هذه صورة تنطق بالحياء وتتفانى في إسعاد الآخرين وإن كان العجز الجسمي والمادي يغاولها.

ولقد حدثنا الآباء عن مثل هذه الصورة التي يتمثل فيها الإيثار على النفس، فهل ستعود إلى حياتنا ويمارسها جيلنا؟ هذا ما لا ينبئ به عصرنا المادي.

○ ○ ○ ○ ○

ابن عربي يتغزل بمذهبه الصوفي!!

وابن عربي الذي تقدمت ترجمته تحت عنوان «ابن عربي يعترض على ابن أبي ربيعة». كان يتغزل ويفسر تغزله بأنه يقصد به الأسرار الإلٰهية والعلوم العقلية مستمسكاً بمذهبه الصوفي، وهذا يؤيد قولهم فيه بأنه ذو مسلكين في الحياة: رصين تقي أمام الناس.. مرحاً متساهل أمام أنداده، فعده قوم في الأولياء. وعده آخرون في الملاحدة، وحتى لا يُعَدُّ بظاهر شعره في المتغزلين قام هو بشرح ديوانه «ترجمان الأشواق» وهو شرح عجيب وغريب يخالف النص تماماً ومن نماذج شروحاته. قوله: وقد سمى نفسه (الشيخ): كنت أطوف ذات ليلة بالبيت فطاب وقتي وهزني حالٌ كنتُ أعرفه، فخرجت من البلاط من أجل الناس وطفت على الرمل فحضرتني أبيات فأنشدتها أسمع بها نفسي ومن يليني لو كان هناك أحد.. فلم أشعر إلّا بضربة بين كتفي بكف ألين من الخزّ. فالتفتّ فإذا بجارية من بنات الروم لم أر أحسن وجهاً ولا أعذب منطقاً ولا أرق حاشية ولا ألطف معنى ولا أدق إشارة ولا أظرف محاورة منها، قد فاقت أهل زمانها ظرفاً وأدباً وجمالاً ومعرفة. فقالت: يا سيدي كيف قلت؟ فقلت:

ليت شعري هل دروا
أيّ قلبٍ ملكوا

فقالت: عجباً منك! وأنت عارف زمانك تقول مثل هذا! أليس كل مملوك معروف. وهل يصح الملك إلا بعد المعرفة وتمنّي الشعور يؤذن بعدمها، والطريق لسان صدق فكيف يجوز لملك أن يقول مثل هذا؟ قل يا سيدي: فماذا قلت بعده؟ فقلت:



وفـــــــؤادي لـــــــو درى
أيّ شِـــعـــبٍ ســـلـــكـــوا

فقالت: يا سيدي الشعب الذي بين الشغاف والفؤاد هو المانع له من المعرفة، فكيف يتمنّى مثلك ما لا يمكن الوصول إليه إلّا بعد المعرفة؟ والطريق لسان صدق فكيف يجوز لمثلك أن يقول مثل هذا يا سيدي؟ فماذا قلت بعده؟ فقلت:

أتـــراهـــم سَـــلِـــمُـــوا
أم تـــراهـــم هـــلـــكـــوا

فقالت: أما هم فسلموا ولكن أسأل عنك، فينبغي أن تسأل نفسك هل سلمت أم هلكت يا سيدي؟ فما قلت بعده؟ فقلت:

حـــار أربـــاب الـــهـــوى
فـــي الـــهـــوى وارتـــكـــبـــوا

فصاحت وقالت: يا عجباً كيف يبقى للمشغوف فضلة يحار بها والهوى شأنه التعميم يحذر الحواس ويذهب العقول ويدهش الخواطر ويذهب بصاحبه في الذاهبين، فأين الحيرة وما هنا باق فيحار، والطريق لسان صدق، والتجوز من مثلك غير لائق؟ فقلت: يا بنت الخالة ما اسمك؟ قالت: قرة عين. فقلت: لي، ثم سلمت وانصرفت. ثم أني عرفتها بعد ذلك وعاشرتها فرأيت عندها من لطائف المعارف الأربع ما لا يصفه واصف.

وإذا كان المثل السائر يقول: «خزام العي من ذنبه» «دواء الحيوان من بعره» فإنه من الأوفق أن نسوق وبلا تعليق قول أبي العلاء المعري. إذ فيه ما ينطبق على ابن عربي وأضرابه وهو:

لـنـا خـفـض الـمـحـلـة والـدنـايـا
ولـلّـه الـمـكـارمُ والـعـلـوُّ



إذا كان الهوى في النفس طبعاً
فليس بغير ميتتها سُلُو

وقوله ـ والمعني أبو العلاء ـ:

وخلفوا العقل من ورائهم
واستودعوا كل سوءة فرعوا

ولم يعوا ما يقول واعظهم
لكن قولَ المخَرّصين وعوا

○ ○ ○ ○ ○

ابن المقرب يخاطب أميمة!!

خاطب الشاعر ابن المقرب واسمه: جمال الدين أبو عبد الله علي بن مقرب بن منصور بن مقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار المربعي العيوني البحراني، نسبة إلى البحرين وإلى بلدة العيون في الأحساء، ويعرف أيضاً بالإبراهيمي، نسبة إلى جد له اسمه إبراهيم القليوني قيل: لعلها (العيوني) ولد عام ٥٧٢هـ ومات في بغداد سنة ٦٢٩هـ. قلت: خاطب أميمة حينما أنكرت شيبة بقوله:

إن تنكري شيبي أميم فطالما
كنت الأودَّ وغيري المتودّد

وذلك حينما رآها تعتد بشبابها فذكرها بأن الشباب الذي تتباهى بحسنه سوف لا يخلد:

لا تحسبي أن الشباب وشرخه
يبقى ولا أن الجمال يخلدُ

وإن عشر سنوات كفيلة بذهاب شطر من حسنها ذهاباً لا رجعة فيه، وأنه لا أن يخلق بعدها ويذم بعد ما كان يمتدح:

عشر ويخلق شطر حسنك كله
ويذم ما قد كان منه يحمد

وبعده يستمر في تذكيرها بأنه قد كانت لمته كالغراب. وإن استنكارها لما رأته من الشيب استنكار ليس في محله طالما أنها تعلم علماً تاماً بأن مآل المرء إلى المشيب، ولم يكتف بتذكيرها بذلك



فحسب بل أخذ في إيقاظها من غفلة جحدت بها ما كان له من ماضٍ مشرف. وذلك بقوله:

لـلّـه أيـام الـصـبـا إذا دارنـا
حجـر الـقـرى ولـنـا بـاجـلـة مـعـهـد

إذا لـمـتـي تـحـكـي الـغُـداف وإنـمـا
أشْهـى الـشـعـور إلى الـعـيـون الأسـود

والـخـد مـن مـاء الـشـبـاب كـأنـمـا
فـيـه لأحـداق الـكـواعـب مـورد

ويشير إشارة لطيفة إلى ما كان عليه من حال وقت شبابه:

كـم لـيـلـة طـالـت فـقـصـر طـولـهـا
شـدو الـمـزاهـر والـغـزال الأغـيـدُ

ويبقى هنا أن أشير إلى أن كل هذه الأبيات كانت مقدمة لقصيدة امتدح بها الأمير عماد الدين أبا علي محمد بن مسعود بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي وقد بلغ بها خمسة وستين بيتاً. أما مطلعها فهو قوله:

بـعـثـت تـهـدّدُ بـالـنـوى وتـوَعَـدُ
مـهـلاً فـإن الـيـوم يـتـبـعـه غَـدُ

○○○○○

أقوال في تقييم شعر كثير

لقد رصد أبو فرج الأصبهاني في كتابه «الأغاني» الشيء الكثير مما قيل عن كثير عزة منها قولهم في قوة شاعريته: ما قصد القصيد. ولا نعت الملوك مثل كثير، وتجاوزوا في وصف قوة شعره وبلاغته حد المبالغة فقالوا: لكثير ثلاثين قصيدة لو رقي بها مجنون لأفاق.

وروى الزبير بن بكار أنه قال: حدثني بعض أصحاب الحديث قال: كنا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث النفس، فنسأله عن شعر كثير فتطيب نفسه.

وروى أبو بكر الموصلي عن عبد الله بن أبي عبيد الله قال: من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره، وكان يملي شعر كثير بثلاثين ديناراً.

وقيل: إن الزبير بن بكار قال: سئل عمي مصعب. من أشعر الناس؟ فقال كثير، وقال هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي، وعامتهم يعني الشعراء، ولم يدرك أحد في مدح الملوك ما أدرك كثير.

ويروى عن محمد بن سلام الجمحي أنه قال: كان كثير شاعر الحجاز، وهو شاعر فحل لكنه منقوص حظه بالعراق، وقال ابن سلام أيضاً: سمعت يونس النحوي يقول: كثير أشعر أهل الإسلام.

ويروى أن عبد الملك بن مروان قال لكثير نفسه: من أشعر الناس اليوم يا أبا صخر؟ قال: من يروي أمير المؤمنين شعره، فقال عبد الملك أما أنك لمنهم.

ويروى عن عوانة أنه قال: قال كثير لعبد الملك بن مروان كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين؟ قال: أراه يسبق السحر ويغلب الشعر.

وعن النضر بن عمر قال: كان عبد الملك بن مروان يخرج شعر كثير إلى مؤدب ولده مختوماً يرويهم إياه، ويرده ومن شعر كثير عزة قوله:

وجـــربـــت الأمـــورَ وجـــربـــتـــنـــي
وقـــد أبـــدت عـــريـــكـــتـــي الأمـــور

وخاطب عزة مشيراً إلى تغير حاله وما فعلته به صروف الدهر بقوله:

وقـد زعـمـت أنـي تـغـيـرت بـعـدهـا
ومـن ذا الـذي يـا عـز لا يـتـغـيـر

تـغـيـر جـسـمـي والـخـلـيـقـة كـالـتي
عـهـدت ولـم يـخـبـر بـسـرك مـخـبـر

ومن شعره قوله:

ففي القرب تعذيب وفي النأي حسرة
فيا ويح نفسي كيف أصنع بالدهر

ويروى أنه بلغه أن عزة مريضة وأنها تشتاقه، فخرج يريدها، فلما صار ببعض الطريق لقيه أعرابي من فهد فقال: يا أبا صخر أين تريد؟ قال: أريد عزة، قال: فهل رأيت في وجهك شيئاً؟ قال: لا، إلّا أني رأيت غراباً ساقطاً فوق بانة ينتف ريشه، قال: توافي مصر وقد ماتت عزة، فانتهره كثير ثم مضى إلى مصر فوافاها والناس منصرفون من جنازة عزة فقال:

رأيـت غـرابـاً سـاقـطـاً فـوق بـانـة
يـنـتـف أعـلـى ريـشـه ويـطـايـره



فـقـلـت ولـو أنـي أشـاء زجـرتـه
بـنـفـسي لـلـنـهـدي هـل أنـت زاجـره

فـقـال غـراب لا اغـتـراب وفـرقـة
وبـان فـبـيـن مـن حـبـيـب تـعـاشـره

فـمـا أعـيـف الـنـهـدي لا درّ دره
وأزجـره لـلـطـيـر لا عـزّ نـاصـره

○ ○ ○ ○ ○

نريد شعراء من هذا النوع!!

ونحن حينما نقرأ شعر بعض الشعراء المداحين نجده في مجمله إلّا ما شذ منه يستحث الممدوح إمّا بالتصريح أو بالتلميح عن البذل، وعليك أن تتصور أحدهم وهو يلقي مديحته كيف تكون نظراته نحو من يمتدحه. فتراه وهو يشد الأبيات يرمق بعينه جيب من يبالغ في مدحه مبالغة يصدق من يصفها بالكذب. والتزلف والتملق، وهذا هو ما يوصف بالمديح النفعي.

أما المديح الذي تشم رائحة عطره. ويصدق في واقع أمره، ويشنف الأذن رنين جرسه، ويجد صادق الوصف مكاناً آمناً في ركنه، وتحمل جاذبية بلاغته على قراءته هو ذلك المديح الشعري الذي يقال فيمن هو أهل للمديح. وينطلق من لسان لا ينظر إلى صلة أو عطية، أو هبة، بل يكون جل اهتمام شاعره منحصراً في تصوير الحقائق المتمثلة في خصال الشخص الذي يتناول مدحه.

ومثل هذا المديح يدور على محور صلب لا تتغير سمته، ولا تتخلخل قافيته، ولا تضعف قوته؛ لأن شاعره يصارح ممدوحه بأنه ليس هدفه من مديحه نيل مادة.

وما أنا شاعر حاشا علومي
ولست أرى التكسب بامتداح

فلي من أنعم الرحمٰن مالٌ
يصون عن احتياج واجتياح

ولم أقصد بمدحك غير ردٍّ
أروض به الزمان عن الجماح



هذا هو التصريح بأن القصد من المديح ليس من أجل التكسب..

أما القائل فهو الشاعر ابن الوردي واسمه.. زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس بن الوردي ولد في معرة النعمان سنة ٦٨٩هـ وتوفى في حلب بالطاعون في ذي الحجة سنة ٧٤٩هـ حيث امتدح شهاب الدين بن فضل الله العمري بقصيدة طويلة جاء فيما قبل الأبيات الثلاثة المتقدمة قوله:

يحق لمن لحاني فيك ذميّ
وحُق لكاتب السر امتداحي

ولست سوى ابن فضل اللّه أعني
شهاب الدين ذي الغرر الملاح

له قلم بفضل اللّه يحيا
لنا يحيى به بعد انتزاح

أشد من القضاء مضاء أمر
وأجرى في الخطوب من الرياح

فخذها بنت ليلتها عروساً
تُزف إليك كالخود الرداح

○ ○ ○ ○ ○

مداعبة بين شاعرين!!

كان بين ابن الهبارية واسمه الشريف نظام الدين أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن حمزة الهاشمي البغدادي العباسي ولد بالهبارية ببغداد وتوفي في كرمان سنة ٥٠٩هـ، وبين البارع البغدادي واسمه أبو علي الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب بن عمر الدبّاس البدري منسوباً إلى صناعة الدبس أو بيعه وإلى محلة البدرية التي كان يسكنها في بغداد، ولد في بغداد في صفر سنة ٤٤٣هـ وتوفي ٢٧هـ جمادى الثانية سنة ٥٣٤هـ.

قلت إن تاريخ الأدب يذكر أن بينهما صحبة وصداقة تجرهما في بعض الأحيان إلى مداعبات شعرية يتخللها لذعات ربما كانت موجعة، لكن رباط الصداقة يأسو جراحها ويخفف وقص نقرسها من ذلك ما روي من أن ابن الهبارية ذهب إلى البارع أبو يعلى مرة فلم يجده. فكتب إليه قصيدة طويلة يعاتبه فيها. وقد كان مطلعها:

يا ابن ودّي وأين منّي ابن ودّي؟
غيّرت طبعه السياسة بعدي

وقد فضلت الاقتصار على ذكر هذا المطلع لأترك الفسحة في الموضع لجزء من رد البارع عليها حيث كان رده كاسمه بارعاً وقوياً وذكياً، كيف وهو يقول في رده:

وصلت رقعة الشريف أبي يعْـ
ـلى فحلت محل لقياه عندي



وفضضت الختام عنها فما ظنـ
ـك بالصاب إذ يشاب بشهد

بين حلو من العتاب ومرّ
هو أولى به. وهزل وجد

ويقول في نفس القصيدة:

يدّعي أنني احتجبت وقد زا
ر مراراً حاشاه من قبح ردّ

وفيها يقول:

فبما ذا علمت باللّه أني
قد تنكرتُ أو تغيّر عهدي

وفيها يقول:

أتراني لو كنت في النار مع ها
مان، أنساك أو بجنة خلد

أنا أضعاف ما عهدت على العهـ
ـد وإن كنت لا تكافا بودّ

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ثلاثة عشر بيتاً كما جاءت في «تاريخ الأدب العربي».

○○○○○

تنمية الهللة والبارة من مفاتيح التجارة!!

والناس جميعهم أو معظمهم ينشد التجارة، ويسعى حثيثاً لطلبها.. بل لا يألو جهداً في سبيل الحصول عليها والتسمي باسم (تاجر).

والسؤال عن الكيفية التي يكون بها الإنسان تاجراً لا يغرب عن الأذهان. ولا يغيب عن البال.. بل هو قائم وينتقل من السلف إلى الخلف. أما الإجابة عليه فإنها لا تنحصر في وصف واحد أو رسم طريقة معينة تحقق التجارة لا محالة. لأنها تأتي من عدة وجوه وبعدة أسباب يوفق إلى الأخذ بها بعض الناس. ويتعذر العمل بها لدى البعض الآخر.

أما الشواهد التي نراها في ميدان التجارة وأسواقها فإنها لا تعطي دليلاً على أن أسلوباً ما يضمن الوصول إلى التجارة.

لكن الذي يتفق عليه في الأخذ بمبدأ المحاولة في الاتجار هو الترشيد في الإنفاق، والتذكير بأن (البارة) وهي جزء من الدينار، و(الهللة) وهي جزء من الريال، أو أي جزء من وجده عملة من العملات، إذا أضيفت إلى أختها وتمت المحافظة عليها ودعمها بأجزاء أخرى بصفة مستمرة، فذلك ما يكون مفتاحاً لباب التجارة الذي ينغلق في وجه من لا يرى للجزء من وحدة العملة قيمة.

ومن الأقاصيص الشعبية التي يَقْرُبُ مفهومها من هذا المعنى ما روي من أن أحدهم أراد أن يستدين من تاجر فأظهر التاجر موافقته من حيث المبدأ، ثم إن التاجر قصده في منزله، وكان في الكانون الوجار بقية جمر سيشتعل إن هو ألقى عليه حطباً ونفخه.. لكن الفقير أحضر الحطب ليعمل قهوة إكراماً للتاجر فاستخرج عود ثقاب وأشعله في



الحطب دون أن يحاول إشعال الحطب من الجمر ويوفر عود الثقاب لمرة لا يكون في الكانون جمر.. ولما رأى التاجر هذا التصرف من ذلك الفقير ينم عن عدم الاهتمام بدقيق وصغائر الأشياء عدل عن موافقته.. وقال في نفسه هذا شخص لا يعرف كيف يوفر ما يتمكن به من تسديد دينه إن هو استدان مني.

وحول هذا الموضوع المتعلق بنشوء التجارة بسبب الاهتمام بدقيق المال وجليله، يقول الشاعر المعاصر أحمد إبراهيم الغزاوي:

أول (الـــديـــنـــار) بـــارة
ذلـــك أصـــل الـــتـــجـــارة[١]

كـــلـــمـــا فـــرطـــت فـــيـــهـــا
عـــشـــت نـــهـــبـــاً لـــلـــخـــســـارة

ومـــن الأمـــثـــال قـــالـــوا
«تـــركـــز الـــزيـــر الـــجـــرارة»[٢]

وهُـــمُ قـــد عـــززوه
«مـــعـــظـــم الـــنـــار الـــشـــرارة»

فـــإذا الـــمـــوســـم ولّـــىٰ
وقـــســـت فـــيـــك الـــبـــصـــارة[٣]

ومـــضـــى الـــحـــجـــاج حـــتـــى
لـــم تـــجـــد إلا الـــدوارة[٤]

---

(١) البارة: اصطلاح تركي وهي جزء من أربعين جزء من القرش.

(٢) الجرارة: هي نواة نبق السدر في عامية الحجاز.

(٣) الموسم: يعني موسم الحج بالنسبة لأهل الحجاز حيث تعمر فيه سوق التجارة ويحصل التبصر في التجارة.

(٤) الدوارة: نفر قليل لا يحرك السوق ويعمرها.

بين سوق الليل حينا
و(جياد) و(القرارة)[1]

لم تروع باحتياج
ولجاج ومرارة

○○○○○

(١) سوق الليل: وجياد والقرارة: أسواق تجارية في مكة.

أحدث ما قرأته من النقد في الشعر الهزلي
المعارض لمعلقة التغلبي!!

وبعض المناسبات يحرك خيال الشاعر ويولد في نفسه قريحة الشعر فينسج شعر يرتبط معناه بظروف المناسبة، فيأتي مترجماً لما يلفت نظره مما يعايش تلك المناسبة من حالة تستوجب الإشارة، وتستحق الوقوف.

ومن الشعراء من يدخل بشعره في دائرة الطرائف والنوادر فيسطر صفحة، شعرية من الفكاهة وذلك بمعارضة نوادر الأشعار وعصراوات القصائد، ومعلقات الأوائل بأساليبه الشعرية المرحة، التي تأخذ طابع الهزل في مظهرها حيناً، كوسيلة يقصد بها التندر والتفكه فقط، وحيناً يكون منتهجا في هزله نقداً هادفاً في تعبير مبسط يتصف بالجاذبية الأدبية وبخفة الروح التي تفرض على الناس قراءته ليحصل إدراك سمو هدفه منها، وما ترمز إليه من واقع اجتماعي هو بحاجة إلى إصلاح أوضاع خارجة على الأعراف، والعادات، والتقاليد السائدة في حياة المجتمع.

ولعله من المناسب جداً أن أشير هنا إلى أن معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي قد نالت شهرة واسعة وحظاً وافراً من معارضة الشعراء منذ عرف فن المعارضة إلى يومنا هذا ولعل السبب في توالي معارضتها يعود إلى ما في قافيتها النونية من جرس موسيقي عذب تصغي إليه الأذن إصغاء ينطبع في النفس، ويحرك الإحساس.

أما أحدث معارضة قرأتها لتلك المعلقة من حيث الوزن والقافية فهي قصيدة صنعها الشاعر السعودي محمد بن سعد المشعان، وذلك



بمناسبة حلول شهر رمضان عام ١٤١٥هـ وما يعد من وجبات تقدم للإفطار بأسلوب لحمته النقد الهزلي وسديته الحلمنتشية.

يقول عمرو المتوفى عام ٥٢ قبل الهجرة في مطلع معلقته التي سبقت الإشارة إليها:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا
ولا تبقي خمور الأندرينا

أما معارضة الشاعر المشعان لها فمنها قوله:

ألا هبي بصحنك أنقذينا
فبعد الصوم ننتظر الصحونا

قبيل المغرب الرغبات تنمو
وتنتظر المبرد والسخينا

إلى قدر الحساء لنا اشتياق
ترجمه أيادي الراشفينا

ومنها قوله:

ألا هبي ببادية عليها
نُعَيْمِيّ أردناه سمينا[1]

ببادية ثوى في العمق منها
«جريقرصاز» زيدي ما نسينا[2]

---

(١) البادية: هي إناء مقعر مختلف الاحتجام يجفا فيها الطعام ويقدم للآكلين.. والنّعيمي: نوع من أنواع الخرفان.

(٢) جريقرصاز: مجموعة حروف منحوتة، فالجيم والياء: من الجريني نوع من أنواع الأكل مشهور في نجد، والقاف والراء والصاد: من القرصان الرقيقة، والألف والزاء: من الأرز.



فـ«لـلـسـنـبـوسـة» الـصـفـراء زهـو
تُـسـرّ بـه جـمـوع الآكـلـيـنـا[1]

ولا تـخـشـى عـلـيـنـا إن دبـغـنـا
بـفـعـل أكـفـنـا مـا تـطـبـخـيـنـا[2]

○ ○ ○ ○ ○

(١) نوع من المحشيات المقلية.
(٢) دبغ في الأكل أي أكل بشراهة.

تثير العودة إلى البيت بعد النزوح عنه
وتحوله إلى أطلال، أكثر من سؤال!!

تفرض الحياة في كثير من الأحيان على كثير من الناس النزوح عن بيوتهم وأوطانهم فتسلمها يد الهجرة إلى عامل الطبيعة الذي يقوم بدوره على تغيير معالمها توافقاً مع تقادم العهد على تركها حتى يحيلها إلى رسوم وأطلال تستعبر الواقف عليها.

والذي يعود بعد حقبة من الزمن إلى داره وملاعب صباه يجد أن كل شيء قد تغير وجهه بفعل الهجر وعامل الزمن كما أسلفت، فلا يصدق ما يراه، وما آلت إليه داره وملاعبه، بل ربما أنكرها، واتهم نفسه وذاكرته بأسلوب كله علامات استفهام حيناً وتعجب واستغراب حيناً آخر، ثم يأخذ في مساءلة نفسه.. أهذه هي الدار التي ترعرعت تحت سقفها ودجت بين حجراتها، وهل هذه هي الملاعب التي كنت أرتادها مع أترابي.. ولا يجيبه عن هذه التساؤلات وغيرها، إلّا صمت الأطلال وبقايا الرسوم التي تؤكد أنها هي التي كانت له مهداً ومرتعاً، وملعباً.

والحقيقة أن هذه حالة تجعل الإنسان يتردد بذاكرته بين ظرف المكان الذي ضمه وظرف الزمان الذي يعايشه فلا يجد بدّاً من الحديث عن ذلك.

والإنسان الذي تقع له مثل هذه الحالة وتحيط به مثل تلك الظروف لا بد أن يضعها في قصة إن كان كاتباً، أو في قصيدة إن كان شاعراً. وذلك مثلما فعل الشاعر أحمد حامد عبد الخالق الذي وقف على بيته القديم. فأملى عليه وقوفه قصيدة جعل عنوانها «البيت القديم» منها قوله:



قد عدت للبيت القديم الغالي
قد عدت تحملني خيول خيالي

جيش من الذكرى يحيط بموكبي
وقوافل تترى من الآمال

وعلى شفاهي كم جرت أنشودة
وعلى المسامع رجعة الموال

ومنها قوله مصوراً الحالة التي آل إليها بيته:

ووجدت نفسي بين أنقاض هوت
بالذكريات على رفوف رمال

البيت أين البيت؟ أين أحبتي؟
أين النهار الحلو؟ أين ليال؟

بل أين حجرات درجت بقلبها؟
كم أسرفت في نشوتي ودلالي

ومنها قوله معلناً فشله في نيل ما كان يطمعه من سلو. وراحة نفس عند رؤية بيته القديم:

يا بيتنا الغالي أتيتك راجياً
قتل الظما في نهرك السلسال

فوجدت أيامي يجرجر بعضها
بعضاً وأنفاسي بكف ملال

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢١ بيتاً وقد نشرها ملحق «الأربعاء» الصادر في ٢ صفر ١٤١٤هـ والتابع لجريدة «المدينة».

○○○○○

أحمد قنديل، شاعر صنع قنديلاً مضيئاً من شعره

وأحمد صالح قنديل شاعر سعودي معاصر ولد في مدينة جدة عام ١٣٢٩هـ وكان أبوه مدرساً للقرآن في مدرسة الفلاح، وقيل: إنه من أشهر المقرئين والمؤذنين، وأنه كان رجلاً ظريفاً سريع النكتة حاضر البديهة، أنيس المجلس، وقد ورث عنه ابنه هذه الصفات.

وكان أحمد قنديل قد تلقى علومه الأولية في مدرسة الفلاح التي حصل على شهادتها عام ١٣٤٥هـ ثم عمل مدرساً بها، ثم انتقل إلى مكة وأصبح رئيساً لتحرير جريدة «صوت الحجاز» في الفترة من ٤ شعبان عام ١٣٥٥هـ حتى ١٢ شعبان سنة ١٣٥٦هـ، ثم عاد إلى جدة وعمل في مكتب رئيس وكلاء مطوفي ـ الجاوه ـ ثم انتقل إلى مكة وعمل بديوان التحرير بوزارة المالية. ثم عين رئيساً لمصلحة أملاك الدولة بوزارة المالية، ثم تولى إرادة الحج بجدة في أول تأسيسها، ثم أصبح مديراً عاماً لها، ولما أحيل إلى التقاعد سافر إلى مصر وهنا افتتح مكتباً تجارياً. ثم عاد إلى الحجاز ومنه سافر إلى بيروت وقد تفرغ هناك إلى متابعة أعماله الفنية، وأنشأ دار نشر ثقافية نشر من خلالها معظم إنتاجه الأدبي والشعري.

وكان اسمه المستعار الذي يكتب تحته هو «الصموت الحساس» وكان شاعراً وفي بعض أشعاره فكاهة وطرافة، وكان يخلط في بعض أشعاره بين العامية والفصحى، ومن أعماله الأدبية «قاطع الطريق» شعراً. و«الأصداف» شعراً. و«الجبل الذي صار سهلاً». و«قريتي الخضراء» شعراً. و«نقر العصافير» شعراً. و«أبراج» شعراً. و«أصداء» شعراً. و«أغاريد» شعراً. و«أوراقي الصفراء» شعراً. و«الراعي والمطر» شعراً. و«شمعتي تكفي» شعراً. و«كما رأيتها» يوميات. و«اللوحات» شعراً.



و«المركاز» شعر شعبي. و«مكتبي قبلتي. عداده ونار» شعراً. و«أبو عرام والشبكة» و«جدة عروس البحر» و«الراعي والغنم» و«جدة» شعراً. ومن قصائده المودعة في «أوراقي الصفراء» قوله:

أوراقك الصفراء ماذا بها
من سرك المكنون في صدرها

آليت أن أسمع في كهفها
أصداء عمر عاش في عمرها

وأن أرى قلبك يا شاعري
في شعره الملفوف في شعرها

فقلتُ لا بالله لا تفضحي
ما فات من أمري ومن أمرها

لا، لا، دعيها أو دعيني هنا
يا حلوتي بالقاع من قبرها

فإنها الأمس لنا ماضياً
وارته عنا خلف أستارها

وأنها لا شيء بعض الهوى
قد نام منسياً على نحرها

تلك هنات القلب في صبوة
عاشت بقاياه على ذكرها

والقصيدة أطول من ذلك بكثير.

أما وفاته رحمه الله فكانت في صباح يوم الجمعة ١٢ شعبان عام ١٣٩٩هـ وهو يقرأ صحف الصباح، ويهم بكتابة موضع الزاوية كان عنوانها «قناديل».



فحش التشيع عند كثير عزة!!

تنقل لنا كتب التراث الأدبي صوراً من حياة الأعلام، فتكون الوثيقة الوحيدة التي يحكم بها على أي علم من الأعلام الذين بلغ الاهتمام بسير حياتهم حداً لا يطلب مزيداً عليه.

والشاعر كثير عزة، واحد من الأعلام الذين أخذت سيرهم الذاتية، وأعمالهم الأدبية مكاناً من صفحات التاريخ الأدبي.

وعن جانب من حياة كثير المذهبية البشعة جاء في كتاب «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير، ما روي عن الزبير بن بكار أنه قال: كان كثير عزة شيعياً خبيثاً يرى بالرجعة، وكان يرى التناسخ ويحتج بقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [سورة الانفطار: ٨].

وجاء في كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصبهاني أن عبد الله بن حسن دخل على كثير يعوده في مرضه الذي مات فيه، فقال له كثير: أبشر فكأنك بي بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك علىٰ فرس عتيق، فقال له عبد الله: مالك عليك لعنة الله فوالله لئن مت لا أشهدك. ولا أدعوك ولا أكلمك أبداً.

وفيما له صلة بهذا جاء في كتاب الأغاني أيضاً أن عبد الرحمٰن بن عبد الله الزهري حدث قائلاً: بكى بعض أهل كثير عليه حين نزل به الموت، فقال له كثير: لا تبك فكأنك بي بعد أربعين ليلة تسمع خشفة نعلي من تلك الشعبة راجعاً إليكم.

ويروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان يقول: إن مما اعتبر به صلاح بني هاشم وفسادهم حب كثير. من أحبه منهم فهو فاسد،



ومن أبغضه فهو صالح لأنه كان خشبياً يقول بالرجعة.

وروي عن محمد بن الضحاك أنه قال: كان كثير يتشيع تشيعاً قبيحاً، يزعم أن محمد بن الحنفية لم يمت، قال: وكان ذلك رأي السيد، وقد قال فيه يعني السيد شعراً كثيراً منه:

ألا قل للوصي فدتك نفسي
أطلت بذلك الجبل المقاما

أضر بمعشر والوك منا
وسموك الخليفة والإماما

وعادوا فيك أهل الأرض طرا
مقامك عنهم ستين عاما

وما ذاق ابن خولة طعم موت
ولا دارت له أرض عظاما

لقد أوفى بمورق شعب رضوى
تراجعه الملائكة الكلاما

وإن له به لمقيل صدق
وأندية تحدثه كراما

هدانا اللّه إذا جرتم لأمر
به ولديه نلتمس التماما

تمام مودة المهدي حتى
تروا راياتنا تترى نظاما

○○○○○

تقادم العهد يجعل بعض قصائد المعاناة فكاهة!!

إن لغة الفقراء لا تخلو من ذكر بعض الأشياء التي يعوزهم، ويحول الفقر دون الحصول عليها، بل إن بعضهم يسمي تلك الأشياء بأسمائها في أسلوب هو أقرب في بساطته ولغته إلى الفكاهة.

وواقع حال بعض الشعراء الفقراء يترجم في بعض المواقف بلغة شعرية ما هم في حاجة إليه، فتبقى تلك الترجمة الشعرية متداولة بين الرواة فترة من الزمن وهي تلامس الشعور ملامسة ربما تكون مؤلمة في بعض الأحيان، لكنها مع تقادم العهد تصبح نوعاً من الأدب الفكاهي، وما هو مستطرف من أخبار القدامى.

والذي قرأ قول جحظة البرمكي، واسمه: أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي النديم الذي ولد عام ٢٢٤هـ وتوفي عام ٣٢٤هـ من معاصريه لا يعده فكاهة مثل ما نحن قد صنفناه في الأدب الفكاهي، وإنما هو يصفه بأنه ترجمة لمعاناة حقيقية يتألم منها جحظة، والذي أعنيه من قوله هو:

الحمد للّه ليس لي كاتبْ
ولا على باب منزلي حاجبْ

ولا حمارٌ إذا عزمتُ على
ركوبه قيل: جحظة راكبْ

ولا قميصٌ يكون لي بدلاً
مخافةً من قميصي الذاهبْ



وأُجرةُ البيتِ فهي مقرحةٌ
أجفان عيني بالوابل الساكبْ

إن زارني صاحب عزمتُ على
بيع كتابٍ لشبعة الصاحبْ

والقصيدة أطول من ذلك كما جاءت في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي.. ومن البيت الأخير من الأبيات المتقدمة نتبين أن الكتاب عند جحظة البرمكي أعز مقتنياته، أو هو الوحيد من أشيائه التي لها قيمة حينما يعرضها للبيع، لكنه جعل بيعه آخر ما يحل به الأزمة التي تسببها زيارة صاحبه له.

ولجحظة مخاطباً بشكل عام هنداً، عن حياته الاجتماعية المملوءة بالمعاناة وضائقات الزمان التي تصبها الأيام عليه في صورة اضطهادية تملأ نفس العاقل كآبة وألماً حينما يرى الرأس منخفضاً، والذنب مرتفعاً، والأمور تسير عكس ما يدور في خلد العاقل:

لا تعجبي يا هند من
حالي فما فيها عجبْ

إن الزمان بمن تقد
م في النباهة منقلبْ

فالجهل يضطهد الحجى
والرأس يعلوه الذنب

○ ○ ○ ○ ○



أبيات مزهرة من قصيدة زهرانية!!

قرأت للشاعر السعودي المعاصر حسن محمد الزهراني قصيدةً مزهرة. أستطيع أن أسميها ـ زهرانية ـ إذ هي غاية في حسن التعبير وجودة السبك، فلا أجد للتعليق على كمال صورتها إلّا القول بأنه نفث فيها روح الأصالة الشعرية فجاءت متكاملة تجلت له فيها من الخواطر ما جعله يحطم محبرته ويناجي قلمه مناجاة صادقة، وقف فيها على مسؤولية قلمه، وما هو ملزم به من مهمات مأساوية يجب أن يترجم التغلب عليها بحروف مدادها من دمه.

لم يبق في كفي سوى قلمي فما
جدوى اليراع وقد فقدت دواتي

فغرزت في وسط الوريد لسانه
وسقيته بدمي ونبض حياتي

ثم يأخذ في مصارعة المعاناة إلى أن يظفر بالتغلب على المآسي التي كانت تكتنفه:

إني قضيت مع الأسى عمري فما
لانت له طول الحياة قناتي

كانت سجالاً حربنا فهزمته
ورفعت فوق حصونه راياتي

لكنه بماذا انتصر، وما هو نوع سلاحه؟

سيفي هو الإيمان باللّه الذي
بعث الرسول بمحكم الآيات



ولا بد أن يكون لهذا الانتصار نشوة تفتح أمامه الطريق قد مال إليه قلبه، وتشوقت إلى سلوكه نفسه، فماذا يا ترى ستكون وجهته التي سيفصح عنها في ختام قصيدته؟ إنها توجه إلى الله، وتوبة عما اجترحه من الذنوب.

كسرت أكواب الذنوب جميعها
وأفاق قلبي بعد طول سبات

وبعدما أفاق قلبه، واستيقظ عقله، حدد اتجاه زورقه الإيماني نحو الغابات التي يجد فيها رضا الله.

وتركتُ غاياتي وأبحر زورقي
نحو الإله لأنبل الغايات

ويختم الشاعر حسن محمد الزهراني هذه القصيدة الإيمانية ببيت ابتهالي لا يستبدل بغيره فيمثل هذا الموقع الختامي.. وهو قوله:

يا غافر الزلات جئتك تائباً
فاجمع بجنات النعيم شتاتي

والقصيدة قرأتها منشورة في جريدة «الندوة» العدد ١١٠٣١ الصادر يوم الأحد ١١ شوال عام ١٤١٥هـ.

○○○○○



بساطة الحياة في صورة يرسمها الغزاوي للراعية!!

وحياة الناس الذين عاشوا العصور التي قبل عصرنا هذا، حياة كلها بساطة، تقوم على عدة عوامل، منها المكتسب تلقائياً، ومنها ما ألزمت الحاجة إلى معرفته كالمبادئ الحرفية وأساسيات المهن اليدوية، وصناعات الخامات المحلية كغزل أصواف الأغنام ونسجها، ونجارة الأواني المنزلية من الأخشاب مما تفرض الحاجة إليه، وما عدا ذلك فالتقايض هو عامل التعايش فيما بينهم.

وحياة كهذه الحياة التي مر بها أسلافنا تكون بعيدة كل البعد عما نحن عليه من زخم تكنولوجيا الصناعة، وملاحقة الأخبار، وكل جديد في العالم بأجهزة الإعلام الإلكترونية المسموعة والمرئية.

وإذا ما ابتعدنا قليلاً عن هذا الواقع بحركة الرجوع إلى عصر أسلافنا نجد صورة مشرقة من حياة البساطة التي ابتعدت بمن عايشها عن الهموم المرتبطة بالمادة.

ويقف بنا الشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي أثناء رجعتنا بالذاكرة إلى الماضي على مشهد من مشاهد بساطة الحياة حيث تم له صنع قصيدة أثارتها في نفسه رؤية فتاة ترعى الغنم، وعجوز تلحق بها متأبطة مغزلاً.

أسمعه وهو ينقل مشاهدته تلك:

طوبى لربعك من «هيفاء» كاعبة
تمشي الهوينى وتعدو وهي تلتثم

وقيد باع تقفاها مبارية
خلف القطيع (عجوز) خطوَها أمم



تـأبـطـت مـغـزلاً تـلـهـو بـه ولـه
منها الحنان الذي بالحب يلتئم

وبعد أن يذكر أن رسمه لهذه الصورة كان في يوم غائم وممطر، يشير إلى أن البهم والشويهات كانت تلتف حول تلك الفتاة التي يعود ليذكر شيئاً من سمو خلقها وما جبلت عليه من عفة وحياء وأنوثة:

بين الحذور وفي الصحراء قد فطرت
عـلـى الـعـفـاف فـلا أثـم ولا لـمـم
غـيـداء تـسـتـلـب الألـبـاب فـاتـنـة
تغضي حياء وتأبى كل ما يصم

ثم يمثل إلى التغزل فيها بقوله:

تـحـجـبـت كـلـهـا إلّا وصـاوصـهـا
ودونها السحر كل السحر يرتسم

ويضمن قول جرير في وصف العيون فيقول:

«إن العيون التي في طرفها حور»
أخلق بها أن توارى وهي تقتحم
فكم قتلن (جريراً) قبلنا وقضى
ونحن منها بتقوى اللّه نعتصم

○ ○ ○ ○ ○

الاعتراض في المعارضة!!

في لغة الشعر الجدلي الذي يقوم على مقارعة الحجة بالحجة، أو نفي رأي باطل بحجة دامغة، يبرز مفهوم الاعتراض على ما يودع في بعض القصائد من آراء ومبادئ لا يقوم الإجماع على صحتها، وذلك بأسلوب يعرف بالمعارضة التي من أهم قواعدها التزام وزن وقافية القصيدة المعارضة التي كانت قد تضمنت من الأشياء الفكرية أو العقيدية أو غير ذلك ما يوجب الاعتراض عليها في معارضتها.

وفي مثل هذه الصفة نجد في الأشعار ما يدخل في مفهوم الاعتراض في المعارضة. إذ إن في الجدل الشعري ما لم تتفق فيه القافية والوزن فكثيراً من القصائد المتناوحة لا تكون مرتبطة في جملتها بوزن وقافية موحدة حيث يخشى كل شاعر من المتجادلين أن يسبب له التزام قافية صاحبه ضعفاً في أسلوبه الشعري فيحاول تجنب القافية التي طرقها صاحبه أو بالأصح ـ ضده ـ كيلا يحمله الالتزام بها على التخلي عن بعض أفكاره التي ربما لا تنقاد للقافية المطروقة.

ومن صور الاعتراض في المعارضة ما ودع به شهر رمضان كل من الشاعرين: أمير الشعراء أحمد شوقي، والشاعر الدكتور جابر قميحة، فشوقي ودع رمضان وداعاً غير لائق حينما قال من قصيدة له:

رمضان ولّى هاتها يا ساقي
مشتاقة تسعى إلى مشتاق

ما كان أكثره على ألافها
وأقله في طاعة الخلاق



بالأمس قد كنا سجيني طاعة
واليوم مَنّ العيد بالإطلاق

وقد أنكر الشاعر الدكتور جابر قميحة على شوقي هذا التوديع لشهر رمضان وإنكاراً صاغه بلهجة اعتراض في أسلوب شعري معارض لقصيدة شوقي وذلك بقوله:

لا يا ـ أمير الشعر ـ ما ولّى الذي
آثاره في أعمق الأعماق

نور من اللّه الكريم وحكمة
عُلَوية الإيقاع والإشراق

فالنفس بالصوم الزكي تطهرت
من مأثم ومجانة وشقاق

لا يا ـ أمير الشعر ـ ليس بمسلم
من صام في رمضان صوم نفاق

لا يا ـ أمير الشعر ـ ما صام الذي
رمضانه في زمرة الفساق

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢٥ بيتاً وقد نشرتها جريدة «المسلمون» في عددها ٥٢٦ الجمعة ٢ شوال عام ١٤١٥هـ.

○○○○○

من هو قانصوه الذي انتقد علماء عصره!!

يذكرنا التاريخ بأيام حكم المماليك لمصر وما آل إليه من اضطرابات وفوضى.. وتتبع أخبارهم يحتاج إلى بحث طويل جداً. ولكني اخترت الإشارة إلى آخرهم لكونه شاعر وأديب وحكيم أيضاً، وهو قانصوه بن عبد الله الجركسي الغوري المولود سنة ٨٥٠هـ تقريباً وهو من جملة مماليك الأشرف قايت باي، فأعتقه وولاه عدداً من الأعمال الإشرافية المهمة، وتدرج في أعماله حتى تولى الوزارة في سنة ٩٠٦هـ في أيام طومان باي الذي تولى الحكم نحو مائة يوم كانت مملوءة بالاضطرابات فأجمع القواد والأعيان على أن يولوا قانصوه على العرش رغم عدم اقتناعه، فكانت أيامه استقراراً وأمناً وأماناً وعمراناً.

ولما بدأ السلطان سليم العثماني فتوحاته في البلاد العربية سنة ٩١٨هـ التقى جيشه بجيش قانصوه في مرج دابق قرب حلب وذلك سنة ٩٢٢هـ وقتل قانصوه وانهزم جيشه. ومن صفات قانصوه أنه كان أديباً شاعراً محباً للعلم واسع المعرفة ملماً بثقافة عصره. وكان يعقد المجالس للمناظرة.

روي عنه أنه قال: جاء جماعة من العلماء إلى خدمتي ومعهم قصة، وفي عنوانها مكتوب: «والله الغني وأنتم الفقراء»، فقلت في جوابهم: فإذا عرفتم ذلك، فلماذا تركتم الغني وطلبتم من الفقير؟ بل المناسب أن تكتبوا على قصتكم: «إن أعطيت فالإعطاء من الله، والأمر مسوق إليك، وإن منعت فالمنع من الله والعتب محمول عليك». ثم قال: رأيت هذه العبارة مكتوبة على حائط فحفظتها.



ومن شعر قانصوه قصيدة صنعها في ذكر الأيام والليالي المباركة، منها قوله:

لـلّـه فـي أيـامـنـا نـفـحـات
مـن دهـرنـا تـزكـو بـهـا الأوقـات

فـيـهـا.. ألا فـتـعـرضـوا وتـضـرعـوا
فـيـهـا تـجـاب لـكـم بـهـا الـدعـوات

هـذي مـواسـمـهـا لـنـا قـد أقـبـلـت
ودنـا بـمـوعـدهـا لـنـا مـيـقـات

فـبـفـضـل شـعـبـان ولـيـلـة نـصـفـه
يَرْوي الصحيحَ من الحديثِ ثقات

وفيها يبتهل إلى اللّه بأن يصلح له ملكه ويسعد رعيته، ويجمع قلوب عساكره ويصلح نياتهم:

يـا ربـنـا فـيـهـا تـقـبـل دعـوة
لـي مـنـك فـيـهـا تـشـمـل الـخـيـرات

أصـلـح لـي الـمـلـك الـذي قـلـدتـنـي
وصـلاحـه أن تـسـعـد الـحـركـات

وتَـدُرّ أرزاق الـرعـيـة فـيـه فـي
أمـن فـفـيـهـا تـنـزل الـبـركـات

وأجـمـع قـلـوب عـسـاكـري جـمـعـاً بـه
تـصـفـو وتـصـلـح مـنـهـم الـنـيـات

○ ○ ○ ○ ○

الحزين واحد من الشعراء الهجائين!!

والهجاء بمختلف تعبيراته وأشكاله وأساليبه، يعد فناً من فنون الشعر، فهو إن جاز التعبير ثالث الأثافي لصناعة الشعر بصفة عامة، إذا قلنا أن معظم ما نقرؤه من الأشعار يدق على ثلاثة محاور رئيسية هي: المديح، والهجاء، والغزل، والذي لا بد من ملاحظته على هذه المحاور هو أن البعض من الشعراء يعطل حركة المحور الثالث الذي هو الهجاء لأسباب ربما تكون عند الشعراء الإسلاميين نابعة من الامتثال للتعاليم الإسلامية، التي تنكر على المسلم الفحش في القول لكن ضعف الوازع الديني لدى بعضهم يحمله على تجاوز النهي، فيطلق لسانه بكل حرية، ولهذا فإن عدد الشعراء الإسلاميين الهجائيين يتزايد عبر السنين وعلى امتداد القرون تزايداً يصعب حصره.

والشاعر الحزين واسمه كما جاء في كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصبهاني، عمرو بن عبيد بن وهب بن مالك بن حريث بن جابر بن بكر، أنهى نسبه إلى عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة من كنانة، وقيل هو مولى وأنه الحزين بن سليمان، ويكنى أبا الحكم، وهو من شعراء الدولة الأموية، وواحد من الشعراء الهجائيين.

روي عن محمد بن الضحاك عن أبيه قال: صحب الحزين رجلاً من بني عامر بن لؤي يلقب أبا بعرة، وكان استعمل على سعايا فلم يصنع معه خيراً، وكان قد صحب قبله عمرو بن مساحق وسعد بن نوفل فحمدهما فقال له:

صحبتك عاماً بعد سعد بن نوفل
وعمرو فما أشبهت سعداً ولا عمراً



وجادا كما قصرت في طلب العلا
فحزت به ذماً وحازا به شكرا

ومما هجا به أبا بعرة واسمه عيسى قوله:

أولاك الجماد البيض من آل مالك
وأنتم بنو قين لحقتم به نزرا

يسوّق بغبورا أميرا كأنما
تسوق به في كل مجمعة زبرا

فإن يكن البغبور ذم رفيقه
قراه فقد كانت أمارته نكرا

ومَتّبع البغبور يرجو نواله
فقد زاده البغبور في فقره فقرا

ويمعن الحزين في هجاء سعد بن إبراهيم فيصفه من حيث الشكل والخلق بالظفر الممتلئ وسخاً.

قال أبو فرج الأصبهاني: أخبرني الحرمى، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال: قال الحزين لهلال بن يحيى بن طلحة:

هلال بن يحيى غرة لا خفا بها
على الناس في عسر الزمان ولا اليسر

وسعد بن إبراهيم ظفر موسخ
فهل يستريح الناس من وسخ الظفر

قال: يعني بذلك سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف، وقد كان ولي قضاء المدينة من هشام بن عبد الملك فلم يعط الحزين شيئاً فهجاه.



عزة تمسح الدم من يد كثير بثوبها

وعزة التي شبب بها كثير تشبيباً نسب إليها بسببه فقيل له «كثير عزة» بضم الكاف هي عزة بنت جميل بن حفص من بني حاجب بن غفار ـ وكنيتها أم عمرو.

وامرأة يشبب بها الشعراء ويصفون جمالها وصفاً مهولاً لا بد أن تكون محط أنظار الناس. خاصة منهم الفضوليين.

أما عزة فقد شُغف نساء عصرها برؤيتها.. فروي أن يعقوب بن حكيم السلمي حدث عن قسيمة بنت عياض بن سعيد الإسلامية، وكنيتها أم البنين قالت: سارت علينا عزة في جماعة من قومها بين يدي يربوع وجهينة فسمعنا بها، فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن، فجئناها، فرأينا امرأة حلوة حميراء نظيفة فتضاءلنا لها ومعها نسوة كلهن لها عليهن فضل من الجمال والخلق إلى أن تحدثت ساعة، فإذا هي أبرع الناس وأحلاهم حديثاً. فما فارقناها إلّا ولها علينا الفضل في أعيننا، وما نرى في الدنيا امرأة تفوقها جمالاً وحسناً وحلاوة.

ويروى عن الهيثم بن عدي أن عبد الملك بن مروان سأل كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة فقال: حججتُ سنة من السنين، وحج زوج عزة بها ولم يعلم أحد منا بصاحبه، فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن تصلح به طعاماً لأهل رفقته، فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت إليّ وهي لا تعلم أنها خيمتي، وكنت أبري أسهماً لي فلما رأيتها جعلت أبري وأنا أنظر إليها، ولا أعلم حتى بريت عظامي مرات ولا أشعر به والدم يجري فلما تبيّنت ذلك دخلت



إليّ فأمسكت يدي وجعلت تمسح الدم عنها بثوبها، وكان عندي نحي من سمن فحلفت لتأخذنه، وجاءت إلى زوجها بالسمن، فلما رأى الدم، سألها عن خبره، فكاتمته حتى حلف لتصدقنه، فصدقته فضربها وحلف لتشتمني في وجهي، فوقفت علي وهو معها فقالت لي:

يا ابن الزانية وهي تبكي ثم انصرفا، فذلك حين أقول:

يكلّفها الخنزير شتمي وما بها
هواني ولكن للمليك استذلت

فقلت لها يا عز كل مصيبة
إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

أسيئي بنا أو احسني لا ملومة
لدينا ولا مقلية إن تقلت

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر
لعزة من أعراضنا ما استحلت

تمنيتها حتى إذا ما رأيتها
رأيت المنايا شرعاً قد أظلت

كأني أنادي صخرة حين أعرضت
من الصم لو تمشي بها العصم زلت

صفوحاً فما تلقاك إلّا بخيلة
فمن مل منها ذلك الوصل ملت

أصاب الردى من كان يهوى لك الردى
وجن اللواتي قلن عزة جنت

والقصيدة أطول من ذلك كما جاء في كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصبهاني.



بقدوم رمضان تبتهج نفوس وتشمئز نفوس!!

وإذا ما أقبل شهر رمضان.. انقسم من كان مفروضاً عليه صيامه إلى قسمين.. قسم تبتهج نفوسهم وتنشرح صدورهم بقدومه، حيث يعتبرونه مائدة روحية يلتذون بها، ويسعدون بالتقرب من خلالها إلى الله، فيسألونه الرحمة، والمغفرة والعتق من النار.

وقسم تظهر على نفوسهم بل وعلى وجوههم حين قدومه علامات الكراهية له حيث يعتبرونه مانعاً لما اعتادوه من ممارسة للهو واللعب والمجون، وتضييع الوقت فيما لا يرتبط بعبادة مفروضة، أو صلة عامة بالله.

وبخروج رمضان يستبشرون جميعاً، ولكن استبشارهم يختلف في مفهومه لدى كل فئة، فالفئة التي ابتهجت بقدومه واستبشرت بخروجه، وفرحت أيام عيده فرحاً غمر نفوسها بالطمع مع أن الله قد تقبل منها صيامه وقيامه، وبالثقة بأنها بجميل عفو الله وغفرانه قد فازت في يوم العيد بجوائز ربها.

أما الفئة التي اكتئبت واشمئزت من قدوم شهر رمضان فهي تستبشر بخروجه لتنطلق لاهية لاعبة بكل شيء يزيدها بعداً عن الله.

ويترجم هذا التناقض القائم بين تلك الفئتين في حب رمضان وكرهه شعراء كل فئة، فشاعر الفئة التي كرهت دخول رمضان وفرحت بخروجه هو أمير الشعراء أحمد شوقي وذلك بقوله:

رمضان ولّى هاتها يا ساقي
مشتاقة تسعى إلى مشتاق



أما شاعر الفئة التي أحبت رمضان واستبشرت بقدومه وتمنت أن تدوم أيامه ولياليه لتزداد من فيض رحمات الله فيه فهو الشاعر الدكتور جابر قميحة وذلك بقوله في معرض رده على شوقي:

لا يا أمير الشعر ما صام الذي
منع الطعام وهمه في الساقي

من كان يهوى الخمر عاش أسيرها
وكأنه عبد بلا.. إعتاق

الصوم تربية تدوم مع التُّقى
ليكون للأدواء أنجع راقي

هو جُنّة للنفس من شيطانها
ومن الصغائر والكبائر واقي

الصوم يا شوقي إذا لم تدره
نور وتقوى وانبعاث وراقي

* * *

رمضان يا شوقي ربيع قلوبنا
فيها يشع أطايب الأعباق

إن يمضي عشنا أوفياء لذكره
ويظل فينا طيب الأعراق

○ ○ ○ ○ ○



صور من المديح ومن الهجاء في شعر الحزين!!

يقولون: من قال: «نِعْم» في المديح فإنه يجيد قول: «بئس» في الذم والهجاء، وهذا هو شأن كثير من الشعراء إذ أن منهم من يقلب ظهر المجن لمن كان قد بالغ في مدحه، فينقض ما أبرم ويبالغ في هجاء من كان قد امتدح، أو أنه إذا ما سار في مديح شخص ما فإنه ربما قارنه بشخص آخر مقارنة يقصد بها هجاءه ويجعله على طرف نقيض ما يمتدح به من حركة صلاته قريحة الشعر وفرضت امتداحه، وواقع الحال أن لكلتا الحالتين دواعي وأسباب يبوح بها الشاعر حيناً وحيناً يتكتم عليها.

روى الأصبهاني عن الزبير بن بكار قوله: حدثني مصعب قال: مر الشاعر الحزين على جعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحرث وعليه أطمار فقال له: يا ابن أبي الشعثاء إلى أين أصبحت غادياً؟ قال: أمتع الله بك نزل عبد الله بن عبد الملك الحرة يريد الحج وقد كنت وفدت إليه بمصر فأحسن إليّ. قال: فما وجدت شيئاً تلبسه غير هذه الثياب؟ قال: قد استعرت من أهل المدينة فلم يعرني أحد منهم غير هذه الثياب، فدعا جعفر غلاماً، فقال: ائتني بجبة صوف وقميص ورداء، فجاء بذلك، فقال: بل وأخلق، فلما ولي الحزين قال جلساء جعفر له ما صنعت إنه يعمد إلى هذه الثياب التي كسوته إياها فيبيعها، ويغدر بثمنها، قال: ما أبالي إذا كافأته بثيابه ما صنع بها. فسمع الحزين قولهم وما رد عليهم ومضى حتى أتى عبد الله بن عبد الملك فأحسن إليه وكساه، فلما أصبح الحزين أتى جعفراً ومعه القوم الذين لاموه بالأمس وأنشده:



وما زال ينمو جعفر بن محمد
إلى المجد حتى عبلته عواذله

وقلن له هل من طريف وتالد
من المال إلّا أنت في الحق باذله

يحاولنه عن شيمة قد علمتها
وفي نفسه أمر كريم يحاوله

ثم قال له: بأبي أنت وأمي قد سمعت ما قالوا وما رددت عليهم، وعلى نقيض هذا المدح هجا عمرو بن عمرو بن الزبير بقوله:

لعمرك ما عمرو بن عمرو بماجد
ولكنه كز اليدين بخيل

ينام عن التقوى ويوقظه الخنا
فيخبط أثناء الظلام فسول

فلا بشر من عمرو لجار ولا له
ذمام ولكن للئام وصول

مواعيد عمرو ترهات ووجهه
على كل ما قد قلت فيه دليل

جبان وفحاش لئيم مذمم
وأكذب خلق اللّه حين يقول

كلام ابن عمرو صوفة وسط بلقع
وكعب بن عمرو في الرخال تطول

فبلغ شعره عمراً فقال: ماله لعنه الله ولعن من ولده لقد هجاني بنية صادقة ولسان صنع ذلق، وما عداني إلى غيري. قال: فلقي الحزين



عروة بن أذينة الليثي فأنشده هذه الأبيات، فقال له: ويحك بعضها كان يكفيك، فقد بنيتها ولم تقم أودها وداخلت معانيها في أكمها، قال الحزين: ذلك والله أرغب للناس فيها، فقال له عروة: خير الناس من حلم عن الجهال وما أراه إلا قد حكم عنك، فقال الحزين حلم والله عني شاء أو أبي برغمه وصغره.

○ ○ ○ ○ ○



من أقوال الخوارزمي نثراً

والخوارزمي.. أصله كما جاء في بعض تراجمه من طبرستان، ومولده ومنشئوه خوارزم، وقيل: إنه كان يتسّم بالطبري، ويعرف بالخوارزمي، ويلقب بالطبرخزيّ، ويعرف بالخوارزمي، أما اسمه فهو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي ولد عام ٣٢٣هـ، وتوفي عام ٣٨٣هـ، من أقواله: «الشكر على قدر الإحسان والسِّلَع بإزاء الأثمان ـ النفس مائلة إلى أشكالها، والطير واقعة على أمثالها ـ الأيام مرآة الرجال، والأطوار معيار النقص فيهم والكمال. العشرة مجاملة لا معاملة، والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف، ولا تحتمل الحساب والصرف. الاعتذار في موضعه ذنب. الكريم إذا أساء فعن خطيَّة، وإذا أحسن فعن عمد ونية. الغيرة على الكتب من المكارم، بل هي أخت الغيرة على المحارم، والبخل بالعلم على غير أهله قضاء لحقه. المحجوج بكل شيء ينطق، والغريق بكل حبل يَعْلَق. المصيبة في الولد العاق موهبة والتعزية عنه تهنئة ـ إنما النساء لحم على وضم وصيد في غير حرم إلّا أن يلاحظن بعين غيور ونفس يقظ حذور ـ أبى الله أن يقع في البئر إلّا من حفر، وأن يحيق المكر السيء إلّا بمن مكر ـ إن ولاية المرء ثوبه، فإن قصُر عنه عَرِيَ منه وإن طال عليه عثر فيه ـ وما أكثر من يخطئ بالصنعة طريق المصنع، ويخالف بزرعه غير موضع المزدرع. في كتمان الداء عدم الدواء وفي عدم الدواء عدم الشفاء. حفظ الصحة أيسر من علاج العلة. هل يبرأ المريض بين طبيبين وهل يسع الغمد سيفين!!».

وللخوارزمي فضل في ذكر ـ إلّا ولولا ـ ذكره الثعالبي في «يتيمة



الدهر» بهذا النص: الحمد لله الذي جعل الشيخ يضرب في المحاسن بالقدح المُعَلَّى ويسمو منها إلى الشرف الأعلى، ولم يجعل فيه موضعاً للولا، وما مجالاً لإلّا، فإن الاستثناء إذا اعترض في المدح أنضب ماءه، وكدّر صفاءه، وأنطق فيه حسّاده وأعداءه، وكذلك قالوا: ما أملح الظبي لولا خنس أنفه، وما أحسن البدر لولا كلف وجهه، وما أطيب الخمر لولا الخُمار، وما أشرف الجود لولا الإقتار، وما أحمد مغبة الصبر لولا فناء العمر، وما أطيب الدنيا لو دامت.

ومما قيل من شوارد الأبيات المشتملة على (إلّا) و(لولا) قول جرير في رثاء زوجته أم حرزة:

لولا الحياء لها جني استعبار
ولزرت قبرك والحبيب يزار

وقول أحد الشعراء:

لولا التغرب ما رقي
دُرر النحور إلى النحور

وقول أبي العلاء المعري:

جمال المجد أن يُثني عليه
ولولا الشمس ما حسن النهار

وقول معروف الرصافي:

قوم هم الشمس كانوا والورى قمر
ولا كرامة لولا الشمس للقمر

وقول أبي نواس:

فإن تولني منك الجميل فأهله
وإلّا فإني عاذر وشكور



وقول لبيد بن ربيعة العامري:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما
وهل أنا إلّا من ربيعة أو مضر

وقول المتنبي:

ولا تحسبن المجد زقا وقينة
فما المجد إلّا السيف والفتكة البكر

وقول الحاجري:

خطرت بقلبي منك كل عجيبةٌ
إلّا فراقك لم يكن في خاطري

○ ○ ○ ○ ○

آفـــات

لقد عقد أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩هـ وهو يترجم للخوارزمي واسمه أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي المولود عام ٣٢٣هـ والمتوفى عام ٣٨٣هـ فصلاً نقل فيه ما قاله الخوارزمي في الآفات..

ولما لهذا الفصل من فائدة استحسنت نقله هنا. ونصه:

من آفات العلم خيانة الورّاقين وتخلف المتعلمين، كما أن من آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المتعبدين. .وكما أن من آفات الدنيا كثرة العامة وقلة الخاصة، وكما أن من آفة الكرم أن الجود آفة للمنع وأن البخل سبب للجمع. وأن المال في أيدي البخلاء دون أيد السمحاء، وكما أن من آفات الحلم أن الحليم مأمون الجَنْبَةِ، وأن السفيه منيع الحوزة، وكما أن من آفة المال أنك إذا صنعته عَرّضته للفساد، وإذا أبرزته عَرّضته للنفاذ، وكما أن من آفات الشكر أنك إذا قصرت عن غايته غششت من اصطنعك، وإذا أبلغتها أو أبلغت فيه أوهَمْتَ من سمعك، وكما أن من آفات الشراب أنك إذا أقللت منه حاربت شهوتك ولم تقض نهمتك، وإذا أكثرت منه تَعَرّضت للإثم والعار، وأبرزت صفحتك للألم والنار، وكما أن من آفات المماليك أنك إذا بسطتهم أفسدت أدبهم وأذهانهم، وإذا قبضتهم أفسدت وجوههم وألوانهم، وكما أن من آفات الأصدقاء أنك إذا استقللت منهم لم تصب حاجتك فيهم، وإذا استكثرت منهم لزمتك حوائجهم وثقلت عليك نوائبهم، وكسبت الأعداء من الأصدقاء كما تكسب الداء من الغذاء،



وكما أن من آفات المغنين أن الوسط منهم يميت الطرب، وأن الحاذق منهم يُنسي الأدب.

أما شعر الخوارزمي فهو من الجودة بمكان، كيف وهو يقول من قصيدة له ممتدحاً خسرو:

وكم ليلة لا أعلم الدهر طيبها
مخافة أن يقتص منّي لها الدهر

سهاد ولكن دونه كل رقدة
وليل ولكن دون إشراقة الفجر

وسُكر الهوى لو كان يحكيه لذّة
من الخمر سُكر لم يكن حَرُم السكر

ولما أدارت مقلة جاهلية
هلاك امرئ في ضمن ثوبي لها نذر

ومالت كأن قد سُقِّيَتْ خمر خدها
وكيف يميل الخمر مَنْ ريقه الخمر

حسدتُ عليها ناظري إذ تحلّه
كما تحسد الأفلاك نَعْلَ فناخُسْرو

ويقول فيما يدخل في دائرة الحكمة:

ولقد بلوت الأصدقاء فلم
أر فيهمُ أوفى من الوفر

وكذاك لم أر في العدا أحداً
أنكى لمن عادى من الفقر

○ ○ ○ ○ ○

انهيار البيوت!!

إن صيانة البيت وترميمه عمرانياً بالمعنى الملموس، يعني المحافظة على سلامته من التصدع والتضعضع حتى يبقى دائماً في حالة جيدة تمكن أهله من الاستظلال به في راحة نفسية إذ لا تبدو عليه أي ظاهرة خراب تريب وتسبب الانزعاج والخوف من حالته.

أما صيانته والمحافظة عليه بالمعنى المحسوس فإن ذلك يعني أمراً آخر يختلف تماماً عما يعنيه الترميم العمراني لبنائه.

ولعله قد وضح الأمر المعني بترميم البيت وصيانته، من السياق المتقدم! لكنه إن لم يكن قد وضح بعد، فإن المقصود بذلك هو المحافظة على أسرة البيت وجميع أفراده من سيء الأخلاق وقبيح الأداب، ومن الانحلال العقيدي الذي أخذ يداهم البيوتات من طرق عديدة ومتلونة، لعل أهمها وما هو محدق بها الآن، الخدم الذين أصبحوا يعايشون أهلها ويخالطونهم وهم على غير دينهم، وقديماً قالت العامة: «لا يعينك من ليس على دينك».

ولقد ظهرت بوادر هدم البيوت بتلك الصورة المحسوسة، وكثرت الحوادث المخلة بالدين والشرف، وحق لها أن تكثر وتزداد ما دامت ربة البيت وبناتها يخرجن مع السائق الأجنبي في حالة تشبه التبرج، ويتحدثن إليه بلا مواربة وربما مازحنه بالكلام وبادلنه الضحكات، ورب الأسرة لا يعتبر ذلك منكراً.

إنه والله معول صنعته عدم الأنفة، واستخدمته نوازع الشيمة، وإننا والله لن نتدارك انهيار بيوتنا إلا بتحطيم ذلك المعول والقذف به خارج



محيط بيوتنا وحياتنا الأسرية فهل نحن فاعلون، ولآثار أسلافنا مقتفون؟

يقول الشاعر يحيى بشير حاج يحيى فيما يقرب من هذا الموضوع من قصيدة له:

يـقـوم الـيـوم بـالإسـلام بـيـت
عـلـى الإيـمـان والـتـقـوى يُـشـيّـده

لـيـغـدو فـي ظـلال الـديـن صـرحـاً
مـنـيـعـاً فـيـه راشـدة وأرشـد

فـكـم بـيـت تـبـعـثـره الـخـطـايـا
وكـم بـيـت يـنـصّـر أو يـهـوّد

غُـزيـنـا فـي الـبـيـت ومـا انـتـهـيـنـا
وداهـمـنـا الـعـدو بـهـا وعـربـد

ولـم يـعـد الـزبـيـر بـهـا مـثـالاً
ولا عُـمَـرُ الـمـروءات الـمـسـدد

وصـار لـكـل هـابـطـة ونـذل
مـثـال فـي خـسـاسـتـه يـقـلـد

وتـأتـلـق الـحـقـائـق وهـي شـمـس
فـيـنـكـرهـا ضـعـيـف الـعـيـن أرمـد

ومـن يـطـلـب بـغـيـر الـديـن عـزاً
وسَـعْـداً فـهـو مـحـروم مـنـكّـد

والقصيدة أطول من ذلك وقد نشرتها مجلة «النور» في عددها ١٢٤ شوال عام ١٤١٥هـ.

○○○○○

كسر الدواة لا يقل في أهميته عن تحطيم القيثارة والقوس وإلقاء عصا الترحال!!

وتحطيم القيثارة.. لغة شعرية تنم عن انفعالات الشاعر الذي يتخذ منها إعلاناً عن تكسر أحاسيسه تكسراً لم تعد تتجاوب معه أنغام شعره مع القيثارة ـ إن صح التعبير ـ.

ومثل ما أن تكسير القوس يترجم السخط الذي ينم عن عدم الاستطاعة على تسديد السهم فيقع الاتهام على إساءة صنع القوس. فإن هناك تعبيراً يترجم العدول عن الأسفار والخلود إلى الراحة وهو قولهم: «ألقى عصا الترحال».

أما صاحب القلم إذا ما أراد أن يعبر عن عزوفه عن الكتابة فإنه يحطم إما قلمه أو دواته.

وجميع هؤلاء يأسفون لذلك الصنيع ويعودون لما أعلنوا الإقلاع عنه ملتمسين أدوات تكون عوضاً عما أتلفوه. بل خربوه. لكن بعضهم يبحث عن وسائل جديدة يتخذها لاستئناف رحلته. وممارسة مهنته.

والشاعر حسن محمد الزهراني واحد من الذين استبدلوا ما حطموا من أدواتهم. فهو حينما كسر دواة طويلة قوامها ثلاثين بيتاً وجعل عنوانها «بشراك يا قلمي» وفي مقدمتها ركز على الحديث عن قلمه وعلاقته بمعاناته.

وبشراه لقلمه تتمثل في أنه جعل مداده من دمه بدلاً من الحبر الذي أضاعه حينما حطم دواته.



من هذه القصيدة التي تجلى فيها الإبداع الشعري. قوله:

كسرت على صخر الهموم دواتي
وتناثرت في قفرها كلماتي

شربت مداد الحزن واغتسلت به
واستلت الأكفان من زفراتي

فحملته ومضيت في درب الأسى
ورأيت في قسماته قسماتي

وكأنما قلمي أحس بلوعتي
وتغلغلت في روحه مأساتي

فغرزت في وسط الوريد لسانه
وسقيته بدمي ونبض حياتي

لأرد بعض جميله ولعله
يتلو على سمع الهوى آهاتي

قل أيها القلم الوفي لسائلي
عن سر هذا الحزن في أبياتي

قل إن شعري نزف قلب موجع
رقصت على أنغامه أنَّاتي

○ ○ ○ ○ ○

تقاول وهمي مشحون بإغراءات الشيطان وتوهيمه!!

لقد نقل الشاعر ابن الهائم واسمه.. شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن الهائم السُّلَمي المنصوري. يرجع نسبه إلى العباس بن مرداس السُّلمي ابن الخنساء الشاعرة المشهورة ولد سنة ٧٩٩هـ. وكانت وفاته في جمادى الثانية من سنة ٨٨٧هـ، قلت: لقد نقل محادثة صورية جرت بينه وبين إبليس في صورة تقاولية بأسلوب شعري فيه بعض الدعابة ذات الخيال المجوني الذي من عادة إبليس اللعين نصبه كشراك يصطاد به بني الإنسان.

ويبدو لي أن الشاعر ابن الهائم قد أراد بصناعة ذلك التقاول الوهمي أن يلفت نظر القارئ بأن إبليس حريص كل الحرص. وبكل الوسائل المغرية لأغواء الإنسان. وجره إلى ارتكاب المعاصي بجميع أنواعها فكأنما هو عارض سلع تستهوي النظر. وتثير الرغبة في النفس فيحصل الطمع فيها. فيقترن هوى النفس بتوفر المادة فتتم الصفة. ويربح إبليس اللعين ويَخْسَرُ الإنسان المسكين.. وصدق الله العظيم في قوله على لسان إبليس في سورة الأعراف آية ١٦، ١٧ ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾.

لقد قطع إبليس اللعين عهداً على نفسه بأن لا يألو جهداً في إضلال الإنسان. وحمله على المعاصي وجره إلى الفتن التي نهى الله عنها. أو صرفه عن كل ما يتصل بالإيمان بالله.

والتقاول الوهمي الذي أجراه إبليس مع الشاعر ابن الهائم. والذي فيه عروض وإغراءات جاء على هذا النحو:



وليلة بتُّ بها والكرى
في مقلتي أذياله تُسحَبُ

إذ جاءني إبليسها عارضاً
علي أنواعاً بها يَخْلب

فقال لي: هل لك في غادةٍ
في وجنتيها الصبح والكوكب؟

فقلتُ: لا. قال: ولا شادنٍ
يرنو بطرف بالنُّهى يلعب؟

فقلتُ: لا. قال: ولا قهوةٍ
تكسوك كأس الملك إذ تُشْرب؟

فقلت: لا. قال: ولا كبشةٍ
خضراء فالعيش بها طيب[1]

فقلت: لا. قال: ولا مطربٍ
إذا شدا عند الصفا يُطرب

فقلت: لا. قال: فنم معرضاً
عنّي فأنت الحجر المُتْعَب

○○○○○

---

(١) الكبشة الخضراء: حشيشة الكيف.

في بعض المواقف تفتقد القريحة الشعرية!!

وإذا عجز الشاعر عن قول الشعر في بعض المناسبات الخاصة. وأخذ يستشهد بشعر غيره من الشعراء فهو في أحد أمرين. إما أنه قد ألجمه هول الموقف وصدمة المفاجأة فلم يملك من التعبير عنها سوى ما كان قد أطربه من شعر غيره فيأخذ في ترديد الاستشهاد به. أو أنه تصاغر أمام الحدث ووجد نفسه لا يستطيع الإتيان بالتعبير المناسب الذي يترجم الحدث ويرسم صورته التي انطبعت في أقصى عمق في نفسه.

ومثل هذه الصورة نجدها تبرز في حياة كثير من الشعراء. وأوضحها تعبيراً. وأدناها إليّ الآن ما رواه الأصبهاني في كتابه «الأغاني» من أن الشاعر الحزين واسمه: عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك بن حريث بن جابر بن بكر بن يعمر بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وقيل بل هو مولى وأن اسمه الحزين بن سليمان ويكنى أبا الحكم وهو من شعراء الدولة الأموية ومن معاصري الشاعر المشهور، كثير عزة.. أما ما رواه الأصبهاني عنه كما أشرت فهو أن الضحاك بن عثمان قال: قال عروة بن أبي أذينة كان الحزين الكناني الشاعر صديقاً لأُبيّ وكان عشيراً له على النسب فكان كثيراً ما يأتيه. وكانت بالمدينة قينة يهواها الحزين ويكثر غشيانها فبيعت وأخرجت عن المدينة. فأتى الحزين أبيّ. وهو كئيب حزين كاسمه فقال له أبيّ: يا أبا حكيم: مالك؟ قال: أنا والله يا أبا عامر كما قال كثير:

لعمري لأن كان الفؤاد من الهوى
بغى سقماً إني إذاً لسقيم



سألت حكيماً أين شطت بها النوى

فـخـبـرنـي مـا لا أحـب حـكـيـم

فقال له أبي: أنت مجنون إن أقمت على هذا.

أما البيتان فهما من قصيدة طويلة قالها كثير عزة في عزة لما خرجت إلى مصر منها قوله:

ولـست بـراء نـحـو مـصـر سـحـابـة

وإن بــعــدت إلّا قــعــدت أشــيــم

ومنها قوله:

وإنـي وإن أعـرضـتُ عـنـهـا تـجـلـداً

عـلى الـعـهـد فـيـمـا بـيـنـنـا لـمـقـيـم

وإن زمـانـاً فـرّق الـدهـر بـيـنـنـا

وبـيـنـكـم فـي صـرفـه لـمـشـوم

أفـي الـحـق هـذا أن قـلـبـك سـالـم

صـحـيـح وقـلـبـي فـي هـواك سـقـيـم

وإن بـجـسـمـي مـنـك داء مـخـامـراً

وجـسـمـك مـوفـور عـلـيـك سـلـيـم

لـعـمـرك مـا أنـصـفـتـنـي فـي مـودتـي

ولـكـنـنـي يـا عـزَّ عـنـك حـلـيـم

○ ○ ○ ○ ○



كثير عزة يروي وفادته على عمر بن عبد العزيز

في كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير أن حماد الراوية قال: قال كثير عزة: وفدت أنا والأحوص ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة، ونحن نمتّ بصحبتنا إياه، ومعاشرتنا له، لما كان بالمدينة، وكل منا يظن أنه يشركه في الخلافة فنحن نسير ونختال في رحالنا. فلما انتهينا إلى خُناصرة ولاحت لنا أعلامها، تلقانا مسلمة بن عبد الملك فقال: ما أقدمكم؟، أو ما علمتم أن صاحبكم لا يحب الشعر ولا الشعراء؟ قال: فوجمنا لذلك. فأنزلنا مسلمة عنده، وأجرى علينا النفقات وعلف دوابنا، وأقمنا عنده أربعة أشهر لا يمكنه أن يستأذن لنا على عمر. فلما كان في بعض الجمع دنوت منه لأسمع خطبته فأسلّم عليه بعد الصلاة. فسمعته يقول في خطبته: لكل سفر زاد فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من عذابه وثوابه، فترغبوا وترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم. فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يمسى بعد صباحه ولا يصبح بعد إمسائه. وربما كانت له كامنة بين ذلك خطرات الموت والمنايا. إنما يطمئن من وثق بالنجاة من عذاب الله وأهوال يوم القيامة. فأما من لا يداوي من الدنيا كلماً إلا أصابه جارح من ناحية أخرى فكيف يطمئن. أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتبدو مسكنتي في يوم لا ينتفع فيه إلّا الحق والصدق. ثم بكى حتى ظنناه قاض نحبه. وارتج المسجد وما حوله بالبكاء والعويل قال: فانصرفت إلى صاحبي فقلت: خذ سرحاً من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه فإنه رجل أُخرى ليس برجل



دنيا. قال: ثم استأذن لنا مسلمة عليه يوم الجمعة فلما دخلنا عليه سلمت عليه ثم قلت: يا أمير المؤمنين طال الثواء وقلت الفائدة وتحدث بجفائك إيانا وفود العرب فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ وقرأ الآية. فإن كنتم من هؤلاء أعطيتم وإلّا فلا حق لكم فيها. فقلت: يا أمير المؤمنين إني مسكين وعابر سبيل ومنقطع.. فقال: ألستم عند أبي سعيد؟ يعني مسلمة بن عبد الملك؟ فقلنا: بلى. فقال: إنه لا ثواب على من هو عند أبي سعيد. فقلت: ائذن لي يا أمير المؤمنين بالإنشاد. قال: نعم ولا تقل إلّا الحق فأنشدته قصيدة فيه.

وقد أوردها ابن كثير في نهاية تلك وعدد أبياتها ١٩ بيتاً. منها قوله:

وَلَيْتَ فلم تشتم علياً ولم تخف
بريئاً ولم تقبل إشارة مجرم(١)

وصدقت بالفعل المقال مع الذي
أتيت فأمسى راضياً كل مسلم

تركت الذي يفنى وإن كان مونقاً
وآثرت ما يبقى برأي مصمم

وأضررت بالفاني وشمرت للذي
أمامك في يوم من الشر مظلم

ومالك إذ كنت الخليفة مانع
سوى اللّه من مال وعيت ولا دم

(١) يشير بذلك إلى نهيه الأئمة عن سب علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المنابر يوم الجمعة.



سما لك هم في الفؤاد مؤرق
بلغت به أعلى المعالي بسلم

فما بين شرق الأرض والغرب كلها
مناد ينادي من فصيح وأعجم

يقول: أمير المؤمنين ظلمتني
بأخذك ديناري وأخذك درهمي

قال: فأقبل عليّ عمر بن عبد العزيز وقال: إنك تسأل عن هذا يوم القيامة. ثم استأذنه الأحوص فأنشده قصيدة أخرى فقال: إنك تسأل عن هذا يوم القيامة. ثم استأذنه نصيب فلم يأذن له. وأمر لكل واحد منهم بمائة وخمسين درهماً. وأغزى نصيباً إلى مرج دابق.. رحمك الله يا عمر وأسكنك فسيح جناته.

○○○○○

عنديات الخوارزمي

والخوارزمي هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي ولد عام ٣٢٣هـ وتوفي سنة ٣٨٣هـ هو شاعر بويهي. وصفه الثعالبي في كتابه الشهير «يتيمة الدهر» بقوله: أبو بكر الخوارزمي. يافعة الدهر. وبحر الأدب. وعَلَم النثر والنظم. وعَالَم الفضل والظرف. وكان يجمع بين الفصاحة العجيبة والبلاغة المفيدة. ويُحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها. ويَدْرُس كتب اللغة والنحو والشعر. ويتكلم بكل نادرة. ويأتي بكل فِقْرَة ودُرّة. ويبلغ في محاسن الأدب كل مبلغ. ويغلب على كل محسن بحسن مشاهدته. وملاحة عبارته. ونعمة نعمته. وبراعة جده. وحلاوة هزله. وديوان رسائله مخلد سائر. وكذلك ديوان شعره.

ومما أورد له من نوادر الأبيات والقصائد. قصيدة رجزية أستطيع أن أصفها بأنها عجيبة التركيب. ومع أنها ظاهرة عليها مسحة الصناعة إلا أنها قد أدت غرضاً ببساطة تعبير وبسهولة لفظ ومعنى. حيث أخذ يسوق فيها كل ما هو مستكره ومستقبح عنده ويقابله بكل ما هو مستحسن ومستحب عنده. فجاءت متضمنة مجموعة من الأضداد. إذ جعل كل بيت فيها يشتمل على ضدين عنده.

ومن تلك القصيدة المملوءة بالعنديات قوله:

المُلك عندي متعة الشباب
والعَزْلُ عندي فرقة الأشباب

ومنها قوله:

والقبح عندي عدم الآداب
والعرس عندي ليلة الكتاب



ومنها قوله:

والسيف عندي قلمُ الكُتَّاب
والنجح عندي سرعة الإياب
والطرد عندي كلمة البواب
والذل عندي وقفة الحجاب
والقحط عندي قلة الأصحاب
والشؤم عندي كثرة العتاب
والعي عندي هَذَرُ الخطاب
والعز عندي طاعة الصواب

ومنها قوله:

والصفح عندي أبلغ العقاب
واللؤم عندي سفه الشراب

ومنها قوله:

والسجن عندي منزل التراب
والهول عندي موقف الحساب

○○○○○

كُثَيِّر بين عزة وأم الحويرث وبثينة!!!

ومما يدل على أن كثير كان يكذب في عشقه لعزة أو أنه يخلط، ولا يخلص حبه لها، ما جاء في كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصبهاني، من أن إبراهيم بن المهدي قال: قدمت على هشام بن محمد الكلبي فسألته عن العشاق يوماً فحدثني قال: تعشق كثير امرأة من خزاعة يقال لها أم الحويرث فنسب بها وكرهت أن يسمع بها ويفضحها كما سمع بعزة. فقالت له: إنك رجل فقير لا مال لك فابتغ مالاً يعفى عليك ثم تعالى فاخطبني كما يخطب الكرام. قال: فاحلفي لي ووثقي أنك لا تتزوجين حتى أقدم عليك. فحلفت ووثقت له. فمدح عبد الرحمٰن بن إبريق الأزدي. فخرج إليه فلقيته ظباء سواغ، ولقي غراباً يفحص التراب بوجهه، فتطير من ذلك حتى قدم على حي من لهب. فقال: أيكم يزجر؟ فقالوا: كلنا. فمن تريد؟ قال: أعلمكم بذاك. قالوا: ذلك الشيخ المنحني الصلب. فأتاه فقص عليه القصة فكره ذلك له. وقال له: قد توفيت أو تزوجت رجلاً من بني عمها. فأنشأ يقول:

تيممتُ لهباً أبتغي العلم عندهم
وقد رد علم العائفين إلى لهب

تيممتُ شيخاً منهم ذا بجالة
بصيراً يزجر الطير منحني الصلب

فقلتُ له ماذا ترى في سواغ
وصوت غراب يفحص الوجه بالترب



فقال جرى الطير السنيح ببينها
وقال غراب جد منهمر السكب

فإلّا تكن ماتت فقد حال دونها
سواك خليل باطن من بني كعب

أما حكايته مع بثينة فقد كان لعزة نصيب في التخطيط لها. بل هي الرأس المدبر لها بالأصح. وقد كان قصدها من ذلك معرفة أكثير صادق: أم كاذب في عشقه لها.. فعن الخزاعي قال عمن حدثه من أهل قديدان: أن عزة قالت لبثينة: تصدي لكثير وأطمعيه في نفسك حتى أسمع ما يجيبك به. فأقبلت إليه وعزة تمشي وراءها مختفية. فعرضت عليه الوصل فقاربها ثم قال:

رمتني على عند بثينة بعدما
تولى شبابي وارجحنَّ شبابها

قال الأصبهاني: وذكر أبياتاً أخرى سقط من الكتاب ذكرها، فكشفت عزة عن وجهها فبادرها بالكلام ثم قال:

ولكنما ترمين نفساً مريضة
لعزة منها صفوها ولبابها

قلت: وهذا يعد من سرعة البديهة عند كثير ومعرفة طرق التخلص من المآزق، قال الراوي: فضحكت ـ والمعنى بالطبع بثينة ـ ثم قالت أولى لك، قد نجوت. وانصرفتا تتضاحكان.

قلتُ: وكأني بكثير يشر إلى هذه الواقعة وما شاكلها من المواقف التي مر بها في قوله في هذا البيت الزاخر بالحكمة والموعظة:

ومن يتتبع جاهداً كل عثرة
يجدها ولا يبقى له الدهر صاحب



باللسان والجنان يقاس مستوى الإنسان!!

إن نظرة الاحتقار تقع دائماً على كل ذي طمر خلق، أو ذي دمامة، أو ذي عاهة، أو ما إلى ذلك مما تقع عليه عين المقابل: كالنحافة المفرطة، أو القصر الفاحش، أو العرج، أو الكوخ، أو الجحوظ الفاحش في العينين.. كل ذلك وغيره ربما قلل من شأن صاحبه لدى من لا يعرف مخبره المخالف لمظهره، الظاهر عليه بعض تلك الصفات.

لكن ذلك يذوب إذا كان صاحب هذه العاهات الخلقية - بفتح الخاء - له لسان ناطق وجنان ثابت.

فحسن المنطق رداء جميل وستر يغطي تلك الأشياء التي ربما استقبحها بعضهم.

وصدق الجنان والثبات في المواقف التي تروغ فيها الأذهان من شدة وقع مفاجأتها يرفع من مستوى قيمة الإنسان الذي كان محتقراً بأية صفة من تلك الصفات التي تقدم ذكرها.. ولنأخذ الحجاج بن يوسف الثقفي الذي ضرب به المثل في الصرامة ورباطة الجأش والجرأة في الرأي رغم ما يوصف به من صفات دميمة.

ومما يروى في كتب التراث. ويستدل به على أن اللسان والجنان هما مقياساً مستوى الإنسان لا بجمال هيئته وشكله. ولا بحسن تركيب جسمه ومنظره. أن كُثير عزة واسمه: أبو صخر كثير بن عبد الرحمٰن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخارق بن سعيد أنهى الأصبهاني نسبه إلى قحطان. قد قيل أن طوله لا يزيد على ثلاثة أشبار. وكان إذا دخل



على عبد الملك بن مروان يقول له: طأطئ رأسك لا يؤذيك السَّقف.. يضحك إليه من قصره. لكنه استأذن يوماً فلما دخل عليه قال عبد الملك: لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. فقال: حَيَّهلا يا أمير المؤمنين إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه؛ إن نطق نطق ببيان، وإن قاتل قاتل بجنان. وأنا الذي أقول:

وجـربـت الأمـور وجـربـتـنـي
وقـد أبـدت عـريـكـتـي الأمـورُ

ومـا تـخـفـى الـرجـال عـلـى أنـي
بـهـم لأخـو مـشـاقـفـةٍ خـبـيـر

تـرى الـرجـل الـنـحـيـف فـتـزدريـه
وفـي أثـوابـه أسـد زئـيـر

ويـعـجـبـك الـطـريـر فـتـخـتـبـره
فـيـخـلـف ظـنـك الـرجـل الـطـريـر

ومـا عـظـم الـرجـال لـهـا بـزيـن
ولـكـن زيـنـهـا دِيـنٌ وخـيـر

بـغـات الـطـيـر أطـولـهـا جـسـومـاً
ولـم تـطـل الـبـزاة ولا الـصـقـور

وقـد عـظـم الـبـعـيـر بـغـيـر لـبٍ
فـلـم يـسـتـغـن بـالـعـظـم الـبـعـيـر

فـيـركـب ثـم يـضـرب بـالـهـراوي
ولا عـرفٌ لـديـه ولا نـكـيـر

○○○○○

من مكاسب الأسفار.. الأصدقاء الأخيار!!

والإنسان الذي ينتقل من بلد إلى آخر سواء كان ذلك مما تفرضه عوامل الحياة وظروف المعيشة المرتبطة بطلب الرزق.. أو بقصد استطلاع ودراسة المعالم لتوسيع أفق المعرفة والثقافة الجغرافية لديه.. أو من أجل تكوين صداقات مختلفة، وعلاقات متنوعة مع من يشاكله في الطبع والخلق فيبنى بذلك كما يقولون في صور التشبيه المجازي؛ بيتاً في كل بلد.

والحقيقة أن هذه الأمور الثلاثة لا ينفصل بعضها عن بعض حيث تجمعها رابطة الأسفار التي لا تخلو بأي حال من الأحوال من كسب عيش أو استطلاع معلم أو بناء صداقه وضمان أصدقاء.

ومن الناس من تستطيب البقاء فترة طويلة في البلد الذي كان قد سافر إليه فتكسبه تلك الفترة صداقات وأصدقاء يجد نفسه في يوم من الأيام غير قادر على فراقهم حيث اتحد معهم بجميع أحاسيسه الفكرية، والخلقية، والأدبية، وجانست جميع خصاله، خصالهم.

ومثل هذه الصورة تحدث لكثير ممن تفرض عليهم ظروف الحياة مغادرة بلادهم وترك أهليهم. وذلك مثل ما اتفق للشاعر عبد الرحمٰن على الصوفي الذي سافر من بلاده سورية إلى الأحساء ومكث عقد ونصف من الزمن أقام خلاله صداقات متينة مع بعض أهالي الأحساء.. ولما فرضت عليه ظروف الحياة العودة إلى بلاده سوريا ترجم لأصدقائه الأحسائيين حزنه على فراقهم في قصيدة منها قوله:

إنـــي أرانـــي لـــلـــفـــراق أســـاق

لـــيَـــشُـــطّ عـــنـــي إخـــوة ورفـــاق



عقد ونصف قد حباني حُبَّهم
ونما جناس بيننا وطباق

إن كان في عمل وروضة مسجد
أو ندوة تزهو بها الأعباق

ووجدتُ فيهم إلفة ومودة
ينبوع حب ماؤه رقراق

ليس الشقيق بنابت الأرحام إن
شاب الأواصِرَ فرقة وشقاق

لكنه صلةٌ وروحُ تحابُبٍ
في اللّه يُعْقَد ما اعتراه نفاق

ومنها قوله:

اسم «الهفوف» يزين جُلَّ قصائدي
وله أُجِلُّ وتدمع الآماق

ويختمها بقوله:

ستظل ذكراكم تعطر خاطري
يهفو إليها قلبي الخفاق

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢٢ بيتاً نشرتها جريدة الندوة في عددها ١١٠١٨ يوم الأحد ٢٠ رمضان عام ١٤١٥هـ، قلت: وما بالغ الشاعر عبد الرحمٰن فيما قال. فأهل الأحساء عموماً لا يضاهون في دماثة الأخلاق، وطيب النفس. فهم بحق أوفياء أسخياء. لا تمل ضيافتهم، ويحزن على فراقهم.

○ ○ ○ ○ ○

نقد الشعر.. والشعر الناقد

لو أردنا أن نستقصي وصف النقد وفعاليته. وأن نشبهه من حيث أهميته خاصة ما يرتبط منه بالشعر فإنه لا بد أن يتكون حصيلة لا بأس بها من التعابير التي ربما اتصفت بالحكمة. . فمن ذلك مثلاً قولنا في الشعر الذي لا تمسه ملاحظة الناقد: شعر بلا نقد كعجينة بلا تنور، وعليك أن تتصور شهيتك لعجينة لم تمسها النار.

ومن ذلك أيضاً قولنا: الشعر بلا نقد كالزيت الخام بلا مصفاة. وقولنا أيضاً: شعر بلا نقد كطريق طويل بلا لوحات إرشادية. والتشبيهات لذلك كثيرة.

ومن هنا ندرك أن النقد للشعر كالنار للمعدن تميز ثمينه من رديئه. أو قل طيبه من خبيثه. . وغياب النقد عن ساحة الشعر ما هو إلّا كغياب المعلم عن التلاميذ. وهذه الحالة التشبيهية يعيشها الكثير من شعرنا المعاصر الذي يفتقر إلى مجهر الناقد الحقيقي.

ونحن لا نقول إن الساحة الأدبية خالية من الناقد. لكن الخوف من أن يكون النقد شرارة تحدث حريقاً يفسد ما حوله جعل الناقد يغمد قلمه حتى لا يدخل بنقده وصراحة قوله في مشكلات شخصية توجد عداء ينأى به عما يهدف إليه النقد من غرض أدبي.

هذا من ناحية فقد الشعر في عصرنا. أما إذا ابتعدنا عن المطالبة بنقد الشعر بصورة عامة واتجهنا إلى الشعراء المعاصرين وجدنا من بينهم الناقد والمنتقد لبعض الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك مما له علاقة بحياة معاصريه.



ويعطينا الشاعر السعودي المعاصر محمد بن سعد المشعان الدليل الواضح المحسوس في صورة شعرية قد دمج فيها النقد والانتقاد معاً لما هم عليه العرب المعاصرون من حالة يرثى لها من حيث التفكك وعدم الائتلاف. وذلك مثل قوله من قصيدة له عنوانها «الأحقاد».

ما للأعاريب لا تنفك تقتتلُ
وحول وحدتهم لا يفتر الغزل

حمر وقائعهم حتى إذا فرجت
حنّوا إلى لغة الأحقاد وانهبلوا

ما زال «داحس والغبراء» بينهمو
رمزاً كما للجاهلي «هُبل»

ومنها قوله:

سحقاً لقد هرم التاريخ واندثرت
صحائف الحقد والأجداد قد رحلوا

«بنو أمية» قد عابت شموسهمو
كذاك كل «بني العباس» قد أفلو

والعلم أدنى من الأقطار قاصيها
والناس عن دنس الثارات قد شغلوا

إلّا بنو يعرب ما زال بينهمو
من «عطر منشم» ما «طالت به الطيل»

والقوم من عاشقي العارات ما برحت
فيهم خلائق ماض جُلّهُ علل

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ سبعة عشر بيتاً وفد نشرتها مجلة اليمامة في عددها ١٣١٢ الصادر يوم الأربعاء ٢٧ محرم ١٤١٥هجرية.



وما من شعر هجائي إلّا وله أسباب

وتختلف الأسباب والدواعي التي تدفع بالشاعر الهجّاء إلى قول الهجاء. فالأشياء التي تثير الحفيظة ويوجب المجازاة بالشعر ربما يعذر الشاعر فيها.. لكنه يلام على الهجاء عند توافه الأمور وأبسط الأشياء.

والذي يبحث فيما كتب من توطئات لقصائد الهجاء ضُمنَتْ كتب التراث ودواوين الشعر يدرك صحة ذلك.

أما الذي سأعرضه كنموذج لذلك فهو موقف حصل للشاعر الحزين مع عمرو بن عمرو حيث روى الأصبهاني عن عاصم بن الحدثان أن الشاعر الحزين دخل على عمرو بن عمرو بن الزبير بن العوام منزله فامتدحه. وسأله حاجة. فقال له: ليس إلى ما تطلب سبيل. ولا نقدر على أن نملأ الناس معاذير. وما كل من سألنا حاجة استحق أن نقضيها ولربما مستحق لها قد منعناه حاجته. فقال الحزين: أفمن المستحقين أنا؟ قال: لا والله. وكيف تكون مستحقاً لشيء من الخير وأنت تشتم أعراض الناس. وتهتك حريمهم. وترميهم بالمعضلات إنما المستحق من كف أذاه. وبذل نداه. وأرغم أعداه. قال له الحزين: أفمن هؤلاء أنت؟ فقال له عمرو: أين تبعدني لا أم لك من هذه المنزلة، وأفضل منها. فوثب الحزين من عنده وأنشأ يهجوه، ويمدح محمد بن مروان بن الحكم بقوله:

إذا لم يكن للمرء فضل يزينه
سوى ما ادعى يوماً فليس له فضل

وتلقى الفتى ضخماً جميلاً رواؤه
يروعك في النادي وليس له عقل



وآخـر تـنـبـو الـعـيـن عـنـه مـهـذب
يجود إذا ما الضخم نهنهه البخل

فيا راجياً عمرو بن عمرو وسيبه
أتعرف عمراً أم أتاه بك الجهل

فإن كنت ذا جهل فقد يخطى الفتى
وإن كنت ذا حزم إذا جازت النبل

جهلت ابن عمرو فالتمس سيب غيره
ودونك مرمى ليس في جده هزل

عليك ابن مروان الأعز محمداً
تجده كريماً لا يطيش له نبل

والحقيقة أن هذه الصورة الهجائية التي أبرز فيها عمرو بن عمرو دونما إقذاع أو تحريم مؤلم إلى حدٍ ما.. قد شابها شيء من الحكمة المتمثلة في المقارنة بين المظهر والمخبر.

وللحزين أيضاً في عمرو بن عمرو قول من قصيدة أخرى هو:

كلام ابن عمرو صوفة وسط بلقع
وكف بن عمرو في الرخال تطول

○○○○○

شعر في طريقة عمل «كبسة» الأرز!!

يتدخل الشعر الضاحك أحياناً في تشويق بعض أنواع الوجبات المطهية فيرسم خطوطاً عريضة تبين كيفية عمل أكلة معينة من بعض الأكلات الشعبية. وتصفها وصفاً يسيل معه لعاب القارئ والسامع معاً.

ومن الشعر الضاحك الذي رسم الخطوات التي يجب اتباعها عند عمل «كبسة» الرز. ما صنعه الشاعر السعودي محمد بن سعد المشعان. حيث قال من قصيدة له: خاطب بها صاحبة المطبخ:

ضـعـي فـي الـقـدر مـاءً وارفـعـيـه
عـلـى «الـدافـور» كـي يُـصْـلـيـه نـارا

وحُـطي فـي سـخـيـن الـمـاء لـحـمـاً
إذا قــطــعــتــه قــطــعــاً صــغــارا

أضـيـفـي الـمـلـح والأبـصـال حـتـى
تـريْ فـي الـقـدر لـلـغـلـي اعْـتـكـارا

ونـقـي «الـرز» والـتـقـطـي حـصـاه
ولا تــبــقــي صــغــاراً أو كــبــارا

وهـاتـي الـمـاء عـذبـاً واغـسـلـيـه
لـكـي تـنـقـى عـن «الـرز» الـغـبـارا

أضـيـفـي «الـرز» مـغـسـولاً إلى الـمـا
وابـقـي الـقـدر كـي يـغـلـي مـرارا



ولا تنسي بأن تضعي بُهاراً
وحاشا «الست» أن تنسى البهارا

وأوهى شعلة «الدافور» خفضاً
لأن القدر يختزن البخارا

إنها صورة إرشادية في أسلوب شعري ضاحك يتمرجح بين الجد والهزل في تصوير حالة طهي قديمة نوعاً ما. حيث جعل الموقد «دافوراً»، والدافور هو ذلك الموقد الذي كان يشعل بـ«الجاز» أحد مشتقات البترول. وهو أثقل من «البنزين» الذي يستخدم لمحركات الطائرات والعربات وبعض وسائل النقل الأخرى كالدراجات النارية وغيرها.

وقد كان الدافور يستعمل قبل توفر مواقد ـ الغاز ـ والكهرباء، فقلّ استعماله بل لا يكاد يكون له وجود في المطبخ السعودي العصري بصفة عامة.

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن قصيدة الشاعر المشعان أطول مما ذكرت فهي تبلغ نحواً من أربعة عشر بيتاً. وقد قرأتها منشورة في جريدة الرياض، العدد ٩٧٠٩١١، الصادر يوم الإثنين ٢٢ شعبان سنة ١٤١٥هـ.

○○○○○

نريد مثل هذا الشعر من الشواعر

ونحن حينما نتطلع إلى ثقافة المرأة العربية ومساهمة قلمها في ميدان الثقافة والتأليف والكتابة النثرية والشعرية؛ فإن هذا التطلع يجعلنا نرصد بكل اهتمام ما يبرز من أقلام نسائية عربية تثبت بنضوج حرفها وكلمتها مشاركتها في النهضة الأدبية، وتأخذ نصيبها بجدارة في مجال الثقافة المعاصرة، وحصتها في عالم الكتابة والتأليف.

ولا أريد هنا أن أتوسع في ذكر ما تعلم المرأة العربية من أهمية بالنسبة إلى بعض الأمور التي هي أدرى بترجمتها والكتابة عنها من الرجل. وذلك فضلاً عما يجب أن تدخل في المنافسة فيه مع الرجل من نافذة العلم والمعرفة والثقافة المشاعة والتي لا تقف محدوديتها بصفة عامة على عقل وفهم وإدراك الرجل فقط.

وكم تكون فرحتنا عارمة عندما نقرأ مؤلفاً لامرأة عربية أو بحثاً علمياً أو مقالاً أدبياً أو قصيدة شعر في كتاب أو مجلة أو جريدة سيارة.

ومن بعض ما كنت أرصده من متابعة لما ينشر من شعر نسائي يستحق الإشارة بل الدراسة.. قصيدة للشاعرة الدكتورة شريفة سلامة أبو مريعد، التي تلقب نفسها بـ«شمس الأصيل» وقد جعلت عنوان قصيدتها «هو الليل» وقد قرأت تلك القصيدة في العدد «٨١٦٥» من جريدة الجزيرة الصادر يوم الأحد ٦ رمضان المبارك عام ١٤١٥هـ.. منها قولها:

هو الليل يهزأ بالأمنيات

ويرمي بها في مهاوي العدم



وينهش فينا عجاف السنين
ويشعل فينا شقي النغم

فتغفو العيون على الذكريات
لعل الصباح يجئ.. ولم[1]

ويرتشف القلب خمر الورى
تدور بها كف طيف ألم

يطل الأسى ملء تلك العيون
ويصرخ في الروح كبر اسم

لماذا الحياة بها المتعبون
تساق خطاهم لدرب العدم

حياة اكتئاب وليل طويل
وعمر سقته كؤوس السقم

والقصيدة طويلة نوعاً ما فهي تبلغ نحواً من عشرين بيتاً. وقد ختمتها بقولها:

بقاء القلوب وصدق الهوى
بضحكة طفل وقبلة أم

○○○○○

---

(١) قولها: ولم: يعني ولم يأت الصباح.. وهذا نوع من أنواع البديع يعرف بـ«الاكتفاء».

كيف. ومتى عشق كُثير.. عزة بنت جميل؟!!

والإجابة على ـ كيف ومتى عشق كثيرة عزة ـ عزة بنت جميل بن حفص من بني حاجب بن غفار، وقيل: بل هي عزة بنت حميد بن وقاص، نجدها مودعة في كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصبهاني «حيث روي عن إبراهيم بن يعقوب بن جميع الخزاعي قوله: كان أول عشق كثير عزة، أن كثيراً مر بنسوة من بني ضمرة ومعه جلب غنم فأرسله إليه عزة وهي صغيرة فقالت: يقلن لك النسوة بعنا كبشاً من هذه الغنم وأنسئنا بثمنه إلى أن نرجع. فأعطاها كبشاً وأعجبته فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه. فقال: وأين الصبية التي أخذت مني الكبش؟ قالت: وما تصنع بها هذه دراهمك. قال: لا آخذ دراهمي إلّا ممن دفعت الكبش إليها. وخرج وهو يقول:

قضى كل ذي دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

قال: فكان أول لقائه إياها.

وفي رواية أخرى أن أول علاقته بعزة أنه خرج من منزله يسوق خلف غنمه إلى الجار. فلما كان بالخبت وقف على نسوة من بني ضمرة. فسألهن عن الماء. فقلن لعزة وهي جارية حين كعب ثدياها أرشديه إلى الماء. فأرشدته وأعجبته. فبينا هو يسقي غنمه إذ جاءته عزة بدراهم فقالت: يقلن لك النسوة بعنا بهذه الدراهم كبشاً من ضأنك. فأمر الغلام فدفع إليها كبشاً وقال: ردي الدراهم وقولي لهن: إذا رحت بكن اقتضيت حقي فلما راح مر بهن فقلن له هذا حقك فخذه. فقال:



عزة غريمتي ولست أقتضي حقي إلّا منها فمزحن معه وقلن ويحك. عزة جارية صغيرة وليس فيها وفاء لحقك فأحله على إحدانا فإنها أملى به منها، وأسرع له أداء. فقال: ما أنا بمحيل حقي عنها ومضى لوجهه ثم رجع إليهن حين فرغ من بيع جلبه فأنشدهن فيها:

نظرتُ إليها نظرة وهي عاتق
على حين أن شبت وبان نهودها

وقد درعوها وهي ذات مؤصد
مجوب ولما يلبس الدرع ريدها

من الخفرات البيض ود جليسها
إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

وقال الحافظ ابن كثير في كتابه الشهير «البداية والنهاية»: ومما أنشده ابن الأنباري لكثير عزة قوله:

بأبي وأمي أنت من معشوقة
طبُن العدوُّ لها فغير حالها

ومشى إليّ بعيب عزة نسوة
جعل الإله خدودهن نعالها

اللّه يعلم لو جمعن ومثلت
لأخذ قبل تأملٍ تمثالها

ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى
في الحسن عند موفق لقضى لها

○○○○○

صورة من دور الشعر
في المطالبة بتحقيق الخدمة العامة!!

من عادة وزراء حكومتنا الرشيدة القيام بجولات في مختلف مناطق ومحافظات المملكة العربية السعودية للتعرف عن كثب على احتياجات سكانها. فيقام لهم حفلات تكريم يتخللها خطب نثرية وقصائد من الشعر تتضمن جميعها الترحيب بالزائر وبعض المطالب التي هي من اختصاص الوزير المحتفى به. فيحصلون منه على وعود بتحقيق مطالبهم. وتتحقق تلك الوعود في فترة وجيزة.

ومن تلك الصور ما حدث لمعالي وزير البرق والبريد والهاتف الدكتور علوي درويش كيال حينما قام بزيارة لمنطقة جازان. حيث عرض فضيلة الشاعر علي بن مديش بجوي مشكلة نقص خطوط الهاتف في منطقة جازان في قصيدة ألقاها أمام الوزير كيال في الحفل الذي أقيم تكريماً له بمناسبة زيارته لجازان منها قوله:

يا أخي الكيّال جازان رأت
في لقي الأخيار أفعالاً سمت

قالت الكيال بالكيل أتى
ليُوفي أهلها ما نقصت

فاتصالات بها قاصرة
رغم تخطيط مواعيد مضت

وفي أثناء الحفل صرح الوزير كيال بأنه قد خصص لمنطقة جازان



عشرة آلاف هاتف نقال مساوياً بها ما كان خصصه لمنطقة أبها.

قال الشيخ بجوي: وما أن انتهى الحفل حتى أخذت القلم وسجلت أبياتاً شكرت فيها الكيال على حسن وسرعة تجاوبه.

من تلك الأبيات قوله:

يا أخي الكيال وفيتم بما
قد طلبنا فابتسامات بدت

في وجوه القوم ممن حضروا
وكذا الألسن بالذكر غدت

تمدح الكيال فيما قد أتى
من جميل الصنع فيما سمعت

عشرة آلاف نقال لكم
يا بني جازان مهما بلغت

مثل أبها في التساوي إنها
لغة المسؤل لا تبقي عنت

والأبيات أطول من ذلك فهي تبلغ ستة عشر بيتاً. وكذلك القصيدة التي تضمنت الطلب فهي تبلغ ثلاثة عشر بيتاً. وكلتا القصيدتين قد نشرتا في جريدة الندوة العدد ١٠٩٧٦ الصادر يوم الأحد ٣٠ رجب ١٤١٥هـ.

○○○○○



ابتهالات معاق!!

وحينما يكون المعاق أو المقعد شاعراً؛ فإنه يكون أدق وصفاً لحالته من غيره من الشعراء الأصحاء الذين يقولون على ألسنة المقعدين. . بل هو أصدق تعبيراً حينما يصف حالة إعاقته، وتصوير واقع أمره.

وهذا أمر طبيعي جداً؛ لأنه أدرى بما تسببه الإعاقة من بؤس نفسي يولده التخلف الحركي عن مواكبة ركب الأصحاء.

والإعاقة كما نعرفها ونشاهد أصحابها إن لم تكن خلقية فهي من جراء إصابات بليغة قد تعرض لها جسم الإنسان فتحدث فيه خللاً يعوقه عن مسايرة العاديين من الناس.

ومن الإعاقة ما يكون في القدم أو الرجل فيحدث عرجاً. ومنها ما يصيب القدمين معاً فيسبب إقعاداً. وكذلك الشأن بسائر الجسد مما يتسبب في الإعاقة.

وتختلف درجات التحمل النفسي لدى ذوي العاهات والعوائق والمقعدين. . فمنهم من تراه دائم التضجر مما هو فيه ويلهج لسانه بصفة دائمة بالتأوه والتوجع، والبوح ببؤسه.

وهذا النوع ربما وصف بضعف الإيمان بحقيقة قضاء الله وقدره.

ومنهم من يفوض أمره في ذلك إلى الله، ويستيقن في قرارة نفسه أنه ما أصابه إلّا ما كان قد كتبه الله عليه. ويجعل من هذا التصديق الإيماني بما كتبه الله له مسلاة وعزاءً لنفسه. بل ويرجو به مثوبة من الله،



فيأخذ في الابتهال إلى الله بأن يحتسب إعاقته له، ويأجره عليها.

ولقد صور الشاعر الدكتور عبد الرزاق العصماني ابتهال معاق في قصيدة طويلة منها قوله:

بك يا ربُّ أنت أقوى وأكبرْ
ابتغي في الحياة درباً مُيَسَّرْ

إن تكن قد سلبت رجلي خطاها
ذاك خير فالعبد بالضر مؤجرْ

كلنا في الحياة جسم قوي
راعه الدهر فانثنى وتكسرْ

غير أني ونورك الحق يسري
في مائي أروض النفس أصبر

بك أسمو ومنك آتي وأعدو
فلماذا أضيق أو أتحسر

إن درب الحياة درب عسير
صوت ثكلى أو دمعة تتحدر

بك يا رب لن أضل طريقي
فأخو الخير للعلا يتبصر

ويختم العصماني هذه القصيدة التي نشرت في ملحق الأربعاء لجريدة المدينة يوم الأربعاء ١٠ شعبان عام ١٤١٥هـ بقوله:

بك يا ربُّ لن تلين قناتي
أنت أقوى وأنت أسمى وأكبرْ

○ ○ ○ ○ ○

من أسباب الفتح الأعظم

ولقد وصف فتح مكة، بالفتح الأعظم. وقد كان في رمضان سنة ثمان من الهجرة. وقد ذكرها الله في غير موضع من القرآن. فقال تعالى في سورة الحديد آية ١٠ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾. وقال تعالى في سورة النصر: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾.

ولقد أورد الحافظ بن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» أقوالاً كثيرة في مسببات غزوة الفتح الأعظم.. من ذلك قوله: وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ما ذكره محمد بن إسحاق حدثني عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعاً قالا: كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل. ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم، فتواثبت خزاعه وقالوا: نحن ندخل في عقد محمد وعهده.. وتواثبت بنو بكر وقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً. ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له ـ الوتير ـ وهو قريب من مكة، وقالت قريش: ما يعلم بنا محمد. وهذا الليل وما يرانا من أحد. فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح. وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله ﷺ. وأن عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير. حتى قدم على

رسول الله ﷺ يخبر الخبر. وقد قال أبيات شعر. فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشدها إياه:

يا رب إني ناشد محمدا
حِلْفَ أبيه وأبينا الأتلدا

قد كنتموا وُلداً وكنا والدا
ثُمَّتَ اسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر رسول الله نصراً أبدا
وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا
أن سيم خسفا وجهه تربدا

في فيلق كالبحر يجري مزيدا
أن قريشاً أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداءٍ رصدا

وزعموا أن لست أدعو أحدا
فهم أذلُّ وأقلّ عددا

هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا رُكعا وسجدا

فقال رسول الله ﷺ: «نصرت يا عمرو بن سالم». فما يرح حتى مرت بنا عنانة في السماء فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب». وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز. وكتمهم مخرجه. وسأل الله أن يعمي على قريش خبره حتى يبغتهم في بلادهم.

التوكل على الله في طلب الرزق!!

يكون للسعي في طلب الرزق وغيره من حوائج الدنيا ثمرة إذا كان الاعتماد في ذلك على الله وكان طالب الرزق قد استشعر الإيمان بأن ما قدر له كائن لا محالة. وإن ما لم يقدر له لم يكن مهما كانت الحالة.

ثم الأخذ في الاعتبار بأن الحرص في طلب الرزق لا يحقق نتيجة ما لم يصحبه نية صادقة بأن التوفيق يأتي من الله.. وأن السعي ما هو إلّا مجرد التماس وتحسس له... وإذا لم يكن المنطلق في طلب الرزق قائم على التوكل على الله فإنه مهما جد الإنسان واجتهد فإنه لن يفلح في طلبه، ولن يحصل على مبتغاه.

والسعي الذي يكون منطلقه التوكل على الله يحجب نظر الساعي عما في يد غيره ويحول دون الاسترفاد من الناس. بل إنه يبعث نشاطاً يثمر بما كان مأمولاً.

يروي أنه قدم البصرة رجلان يسترفدان عبد الله بن عامر ـ خال عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ وكان جواداً ممدّحاً. وكان أحدهما ابن جابر الأنصاري، والآخر رجل ثقفي؛ فلما قربا من البصرة نزلاً، فصلى ابن جابر ركعتين واستخار الله ثم قال للثقفي: ما رأيك في الرجوع؟ فقال الثقفي: أتعبت نفسي، وأكللتُ مطيتي ثم أرجع بغير شيء؟ فقال ابن جابر: إني قد ندمت على قصده، واستحييتُ ربي أن يراني طالباً رزقاً من غيره. ثم قال: اللهم رازق ابن عامر وارزقني من فضلك. ثم قفل راجعاً إلى المدينة.. وكان ابن عامر قد أخبر بمسيرهما. فلما دخل



الثقفي على ابن عامر قال له: أين صاحبك؟ فأخبره بحاله. فبكى وقال: والله ما قاله أشراً ولا بطراً. ولكن قاله حقاً فلا جرم إني أضاعف جائزته. فأمر للثقفي بأربعة آلاف درهم وكسوة. وبعث لابن جابر بضعفها فخرج الثقفي يقول:

أمامة ما حرص الحريص بزائد
فتيلا ولا زهد المقيم بضائر

خرجنا جميعاً من مساقط رأسنا
على ثقة منا بجود ابن عامر

فلما أنخنا الماعجات ببابه
تخلَّف عني الخزرجي ابن جابر

وقل ستكفيني عطية قادر
على ما أراد اليوم للبأس قاهر

وقال الذي أعطى العراق ابن عامر
لربي الذي أرجو لسد مفاقري

فلما رآني سال عنه مبالغا
وحَنّ كما حنت طراب الأباعر

وأضعف من حظ له في عطائه
على حظ لهفان من الحرص فاغر

فأُبْتُ وقد أيقنتُ أن لليس نافعي
ولا ضائري شيء خلاف المقادر

ooooo

الشاي والقهوة في المنتدى والرحلة!!

ولعله من بديهي القول. بل من واقع الحال. إذا قلنا أن الشاي وقهوة البن قد أصبحا في عصرنا هذا من زاد الرحلة ومتطلباتها. بل هما من حوائجها الرئيسية التي يكون لتحضيرهما الأولوية.

وليس في الأمر غرابة فهما ـ وأعني بذلك القهوة والشاي ـ قد أصبح تناولهما بين الحين والآخر خلال كل أربع وعشرين ساعة أمراً ضرورياً لدى معظم الناس. والقليل القليل بل النادر من الناس هو الذي لا يعبأ بفقدهما.

ولهذا نجد أن أول ما يحظى بالتجهيز للرحلة هو الشاي والقهوة وأوانيهما. . ونظراً لهذا الاهتمام فقد ألفت في قهوة البن كتاباً من ثلاثة أجزاء سميته: «الصفوة مما قيل في القهوة». فكان كتاباً فريد من نوعه من حيث التقصي في البحث عن أدبيات القهوة. وكل ما يرتبط بها من تحليلات علمية وأدبية. وأشعار فصيحة وعامية.

ومن أدبيات الشاي والقهوة التي تأتي ضمن قصائد الشعراء. ما ذُكر من أن الشيخ محمد عبد الله آل عبد القادر قد قام برحلة إلى عين أم سبعة بالأحساء مع لفيف من أصحابه وأصدقائه.

وعين أم سبعة هي عين ذات سبعة أنهر فيما أعلم، وهي تقع في وسط شاعرية كثبان من الرمال النقية الذهبية اللون. وقد حرك طبيعة منظرها شاعرية الشيخ محمد آل عبد القادر فانجالت عن قصيدة جميلة منها قوله:

رعى الله يوماً قد طوينا نهاره

بكثبان رمل زيّنتها الجداول



نجود عليها دائماً ـ أما سبعة ـ
بماء كبلور جلته الصياقل

ومنها قوله:

كأن جموع النخل في عرصاتها
صفوف عذاري جمَّلتها الغلائل

إذا روّحتْ ريح الشمال رؤوسها
تميل كما مال المحب المواصل

فيا حبذا برد النسيم بظلها
ويا حبذا ذاك النقا والمنازل

أدونا كؤوس الشاي فيها كأنها
نجوم تلالا للسرور وسائل

وعززها الساقي ببن حكى لنا
لمى شفة الحسنا فنعم المناهل

بأجمعها نجني الهموم ونجتني
ثمار الهنا والأنس.. والكل حاصل

○○○○○

ممدوح حقي يفضل الكلاب على بعض الصحاب!!

وسوء المعاملة التي تقوم في بعض الأحيان بين الناس. وما يصحبها من إساءات متبادلة أو هي تأتي من جانب واحد يصعب على الجانب الثاني تحملها والإغضاء عليها.. قد فتح باباً يدخل منه الذين يهمهم تقييم الناس. ووصف ما هم عليه من علاقات اجتماعية.

وهو باب يدل على مثالبهم وخبث طويتهم. أكثر مما يدل على مناقبهم وطارة نفوسهم.

وحصيلة التجارب مع بعض الناس الذين يتلونون تلون الحرباء. ولا يدفعهم إلى الدخول في الصداقة مع غيرهم سوى المنفعة التي يكون بفقدها فقد الصداقة. وهذا النوع من الناس قد فُضلت صحبة الكلاب على صحبتهم، لأنهم لا يفون لصديق كما يفي الكلب لصاحبه. ولا يذبون عن قريب كما يذب الكلب عن أهله. فهم إذاً لا يقارنون بالكلاب في مجال النخوة. ولا من حيث الحمية. والمحافظة على أواصر الصداقة.

ولقد أكثر الشعراء من الإشارة إلى أن الكلب أوفى من بعض الناس. وهي إشارة مبنية على تجارب وحكايات محققة عن وفاء الكلب لصاحبه.

من أولئك الشعراء الشاعر الدكتور ممدوح حقي الذي صنع قصيدة حول ذلك. وجعل عنوانها ـ صحاب وكلاب ـ منها قوله:

يسائلني صاحبي عن كلابي
وهن أعز من بعض الصحاب



وهم لا يسألون لكي يجابوا
فكلٌّ مدركٌ رجع الجواب

فقد غصت ببعض الناس نفسي
وأحوجني الكلابُ إلى الكلاب

مثالٍ في الوفاء فلا تبارى
وبعض الناس غدّارُ الغياب

ومنها قوله:

فكيف أفضلُ البشر المرائي
على كلبٍ ودود لا يحابي

وبعض الناس أخلاق الثعالي
وبعض الناس أخلاق الذئاب

ومنها قوله:

ولو ملكتْ على التعبير نُطقاً
لجاء مقالها فصل الخطاب

وكانتْ أشعر الشعراء وصفاً
لنقص الناس عن قدر الكلاب

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ خمسة وعشرين بيتاً وقد تضمنها ديوانه ـ ديوان الصياد ـ الذي وصفه بأنه أول ديوان من نوعه في جميع اللغات.

○○○○○

تساؤلات واستفتاءات فلسفية!!

وبعض الشعراء يطيب له أن يمد جسراً بينه وبين علماء وفقهاء زمانه ليمرر من خلاله بعضاً من خواطره الفلسفية. وتداعيات خيالاته الأدبية.. وليجعل منه همزة وصل تصنع مفتاحاً للمداعبة التي يمنع من تعثرها في الطريق الموصلة إليهم حسن صياغتها والتزام أسلوبها بمبادئ الأدب الذي لا يجد الإنكار إليه سبيلاً والشاعر ابن قلاقس واسمه أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن مخلوق بن علي بن عبد الله بن عبد القوي اللخمي الأسكندري الملقب بالقاضي الأعز والمولود بالإسكندرية عام ٥٣٢هـ، والمتوفى سنة ٥٦٦هـ كان واحداً من أولئك الشعراء الذين كان لهم اتصال شعري بالعلماء والفقهاء..

وقد وجه ابن قلاقس إلى بعض من معاصريه من العلماء والفقهاء بقصائد تشتمل في معظمها على استطلاع آرائهم. ولا تخلو مقدماتها من الغزل كعادة الشعراء القدامى. فمن أولئك القضاة والعلماء القاضي أبو علي عبد الرحيم البيساني المولود عام ٥٢٩هـ، والمتوفى سنة ٥٦٦هـ، والقاضي الأشرف أبو المكارم حسن بن القاضي الوجيه أبي محمد عبد الله بن الحباب.. والشيخ الفقيه أبي العباس أحمد الآبي المتوفى سنة ٥٩٦هـ، والقاضي أبو المعالي عبد العزيز بن الحباب التميمي السعدي.. والفقيه أبو محمد عبد الوهاب بن سند اللكي والقاضي سعيد بن خليف.. وغيرهم كثير.. إلّا أنه خص الفقيه الإمام الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني بأكثر قصائده.

ومن القصائد التي وجه بها إلى الفقيه الحافظ أحمد بن محمد



السلفي قصيدة ضمنها عدداً من التساؤلات والاستفتاءات الفلسفية التي يجد المحلل الفلسفي فيها مرتعاً خصباً. وذلك مثل قوله منها:

ما الطويل الذراع مثل القصير
لا ولا الأذكياء مثل الحمير

لا ولا الميت يستوي هو والحيُّ
ولا الظل فاعلمنْ كالحرور

لا ولا من يكن عن الخلق أعمى
فاعلمنْ ذا مثلُ اللبيب البصير

لا وليس البخيل مثل الذي فيـ
ض نداه يُزري بفيض البحور

ومثل قوله منها أيضاً:

افتنا في قضية ليس تخفى
عن كبير من الورى وصغير

هل تقاس الذئاب بالأسد قدراً
وتكون الديوك مثل النسور

أو يقاس الصحيح بالعدم أو هل
ينظرنْ ظلمة الدجى كالنور

أو يهمَّ السماء أن ينبح الكلـ
ب ألا فابْعُدنْ بكلب حقير

○ ○ ○ ○ ○



يوم الفتح الأعظم، فتح مكة!!

جاء في ـ البداية والنهاية ـ للحافظ ابن كثير أنه لما وصل جيش المسلمين بقيادة قائد الأمة الإسلامية ومنقذها بعد الله من الضلال محمد بن عبد الله. إلى المنزل الذي يلقى العدو.. فرّق عليه الصلاة والسلام الجيش. فأمر خالد بن الوليد أن يدخل مكة من الليط بأسفل مكة في بعض من الناس. وكان خالد على المجنبة اليمنى من الجيش، وأمر الزبير بن العوام أن يدخل مكة في بعض من الناس من كداء. وكان الزبير على المجنبة اليسرى.. وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض من الناس مكة من كُدى. وكانت معه راية الأنصار.. فانتظم الأمر في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثامنة من الهجرة الشريفة. وسار جيش المسلمين الذي قيل: إن قوامه اثنا عشر ألف مقاتل، وأبو عبيدة بن الجراح في الصف من المسلمين بين يدي رسول الله ﷺ. ودخل من أذاخر. وقيل من كُدى.. وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح. وأتى النساء يلطمن وجوه الخيل فتبسم إلى أبي بكر وقال: «يا أبا بكر كيف قال حسان؟» فأنشد أبو بكر رضي الله عنه قول حسان:

عدمتُ بنيّتي إن لم تروها
تثير النقع من كنفي كداء

ينازعن الأعنة مسرجات
يُلَطّمهن بالخمر النساء

ويرویٰ عن جابر بن عبد الله أنه قال: دفع رسول الله الراية يوم فتح



مكة إلى سعد بن عبادة. فجعل يهزها ويقول: اليوم يوم الملحمة يوم تستحل الحرمة ـ يعني الكعبة ـ قال: فشق ذلك على قريش وكبر في نفوسهم. قال: فعارضت امرأة رسول الله ﷺ في مسيرة وأنشأت تقول؛ ومن قولها:

يا نبيّ الهدى إليك لَجا حـ
يُّ قريش ولات حين لَجَاءِ

حين ضاقت عليهم سعة الأر
ض وعاداهم إلَـهُ السماء

[والتقت حلقات البطان على القو
م ونُودوا بالصَّيْلم الصلعاء][1]

أن سعداً يريد قاصمة الظهـ
ر بأهل الحجون والبطحاء

خزرجيّ لو يستطيع من الغيـ
ظ رمانا بالنسر والعواء

[فانْهَيَنْهُ فإنه الأسدُ الأسـ
ودُ والليث والغ في الدماء]

قال: فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر دخله رحمة لهم ورأفة بهم. وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادة ودفعت إلى ابنه قيس بن سعد.. قال: فيروى أنه عليه الصلاة والسلام أحب أن لا يخيبها إذ رغبت إليه واستغاثت به. وأحب أن لا يغضبه فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه... وهذه هي أهم صفات دخول مكة.

---

(١) جاء في التعليق على هذا البيت قوله: هذا البيت لم يرد في الأصل وإنما أورده السهيلي في الروض الآنف، ونسب الشعر إلى ضرار بن الخطاب، ولم يورد البيت المشار إليه بعد هذا بمربع مع تحويل بعض ألفاظه.
قلت: والأبيات تبلغ فيما ذكرته ثمانية أبيات وقد اكتفيت بنقل ستة منها وفقاً لمنهجي في تأليف هذا الكتاب.



عندما يرد الخاطب بماذا تحدثه نفسه!!

ورد الخطبة بلا سبب وجيه واضح ربما يضع علامة استفهام بين الخاطب ووالد المخطوبة.. لكن القناعة دائما تكون مصاحبة للخاطب لأن يحدث نفسه حينما ترد خطبته. بأنما هو لأمر لا يمس شخصيته. ولا يتعلق بسيرته الذاتية؛ كالاحتقار مثلاً، أو عدم التكافؤ في الحياة الاجتماعية، أو ما إلى ذلك من الأمور التي يعاب بها الرجل كسوء الأخلاق وفساد الطبع وغيره.. وأبو فرج الأصبهاني يروي لنا في كتابه «الأغاني» ذلك الكتاب الذي يعد تأريخاً أدبياً حافلاً بما جد وهزل من الأخبار الأدبية والتراجم الإعلامية. حيث سجل لنا شيئاً من هذا القبيل فذكر عن أبي عمرو قوله: خطب شبيب بن البرصاء واسمه: شبيب بن يزيد بن جمرة. وقيل: جبرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن سعد بن ذبيان ـ والبرصاء أمه ـ ولقبت قرصافة لبياضها لا لأنها كان بها برص ـ وشبيب شاعر فصيح إسلامي من شعراء الدولة الأموية. قال أبو عمرو: خطب شبيب إلى يزيد بن هاشم بن حرملة المري ثم الصرمي ابنته. فقال: هي صغيرة. فقال شبيب: لا ولكنك تبغي أن تردني. فقال له يزيد: ما أردت ذلك. ولكن انظر في هذا العام فإذا انصرم فعلي أن أزوجك. فرحل شبيب من عنده مغضباً. فلما مضى قال ليزيد بعض أهله: ما أفلحت. خطب إليك شبيب سيد قومك فرددته. قال: هي صغيرة. قال: إن كانت صغيرة فستكبر عنده. فبعث إليه يزيد ارجع فقد زوجتك فإني أكره أن ترجع إلى أهلك وقد رددتك. فأبى شبيب أن يرجع وقال قصيدة هي غاية في الأدب والحكمة. والافتخار.. منها قوله في الحكمة:



ترجى النفوس الشيء لا تستطيعه
وتخشى من الأشياء ما لا يضيرها

ألا إنما يكفي النفوس إذا اتقت
تقى الله مما حاذرت فيجيرها

ولا خير في العيدان إلّا صلابها
ولا ناهضات الطير إلّا صقورها

أما في الافتخار فيقول منها:

وإني لتَرَّاك الضغينة قد أرى
ثراها من المولى فلا أستثيرها

مخافة أن يجني عليَّ وإنما
يهيج كبيرات الأمور صغيرها

إذا قيلت العوراء وليت سمعها
سواي ولم أسمع بها ما دبيرها

وحاجة نفس قد بلغت وحاجة
تركت إذا ما النفس شح ضميرها

حياء وصبراً في المواطن إنني
حيٌّ لدى أمثال تلك ستيرها

○○○○○

بيت موصول بأبيات بديهية!!

أن القارئ الذي يغوص في أعماق التراث الأدبي يجد مواقفاً أدبية ملفتة للنظر.. ويخرج منها إن كان كاتباً بدراسة ذات معنى أدبي يستحق التدوين.

أما إذا كان شاعراً فإنه في كثير من الأحيان تكون قراءته لبعض الأشعار مفتاحاً لتجليات شعرية. أو قل هي بالنسبة إليه شرارة ينبعث منها وهج شعري تتمخض عنه قصيدة. تأخذ مكانها في ديوان الشعر. وتحظى بقبول المتلقي لها فتكون موضع دراسة. أو عدة استشهاد لموضوع نثري يتفق فيه هدفه مع روح تلك القصيدة.

والذي يتصفح كتب التراث الأدبي يجد من هذا القبيل الشيء الكثير.. ولعل أصغر أو أبسط صورة لذلك هو ما يجده مضمناً أو موصولاً به بعض القصائد.

ومن شعراء الأدباء من إذا رأى أو أحسن بخمول في شاعرية أحدهم عمد إلى صنع بيت رنان ثم ساقه إليه بأدب ولطافة ثم طلب إليه وصله أو إجازته. فيكون ذلك شبيهاً بالفتيل الملتهب ناراً.

قال ابن قلاقس واسمه أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي اللخمي الإسكندري الملقب بالقاضي الأعز والمولود عام ٥٣٢هـ، والمتوفى سنة ٥٦٦هـ. قال: حضرت بين يدي الشيخ الإمام الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني في جماعة فاقترح علينا عمل شيءٍ من الشعر على وزن:

نُعلِّلُ بالدواء إذا مرضنا
وهل يشفي من الكرب الدواء



فقلت بديها:

أخي دع البطالة واله عنها
وجانبها فعقباها الشفاء

جمال المرء في الدنيا صلاح
وخير بضاعة الحر الحياء

عجبت لمن يميل إلى المعاصي
وتعجبه الملاهي والغناء

وعقبي ذَيْنِ لو يدري شفاء
يطول وبعده أيضاً عناء

تنبه يا نؤم فلست تدري
عليك بما الذي سبق القضاء

وكِلْ لله أمرك إنه في
جميع الخلق يفعل ما يشاء

ولذ بالحافظ الحبر المرجى
ففيه الفضل أجمع والوفاء

والقصيدة أطول من ذلك وقد تضمنها ديوان ابن قلاقس.

○○○○○

النشار يهدد باستخدام المنشار!!

والنشّار ليس بشخص مشتهر بنشاط نشر الأخشاب أو صاحب حرف ترتبط بما يتعلق بمفهوم النشارة والمنشار.. وإنما هو شاعر مصري معاصر ولد بمدينة دمياط عام ١٨٩٥م، وتوفي عام ١٩٧٢م. واسمه عبد اللطيف محمد حمدي النشار.. وفي شعره جودة وحسن صناعة.. وهو يجمع في شعره بين الحماسة، والحكمة، والفكاهة، والهجاء، وله في الوصف والغزل وقفات.

وله ديوان شعر اسمه «ديوان النشار» قامت بجمعه وطباعته الهيئة المصرية العامة للكتاب. سأختار منه بعض الأشعار إن شاء الله.

أما نشاطه الذي قلنا أنه بعيد عن النشارة والمنشار.. فقد ذكر في مقدمة ديوانه أنه ناقد فنّي ومترجم. وأنه قد اشتغل بالترجمة عمل بالصحافة ما يقارب ٦٠ عاماً، وقيل: إنه له ديوانا شعر صغيران هما: «مجنة فرعون» والآخر «نار موسى» ولم أقرأهما ولعلهما ضما إلى ديوانه «ديوان النشار».

والشاعر النشار واحد من الذين ترجموا رباعيات الخيام شعراً.. وقد كانت ترجمته هي من أقرب التراجم إلى أسلوب وطريقة الخيام.

وكان له وظيفة في المحاكم التي بقى فيها موظفاً طوال ٣٠ عاماً.

وإذا كان عنوان هذا الموضوع ملفتاً للنظر فإنما هو من النشار نفسه حيث قال في بيت مفرد:

وكل ما قابل النشار ينشره

فاحذر مغاضبة النشار يا «خشبة»



إنه تحذير قصد به رفع شأنه وشبه فيه من يحاول مغاضبته بالخشبة التي تقع تحت فعل المنشار. في أسلوب هو أقرب إلى الفكاهة التي لا يخلو منها ديوانه. وذلك مثل نصحه في إحدى قصائده لشخصٍ يدى موسى بأن لا يدخل في جدال أو معايات مع ـ عبد الفتاح ـ الذي يملك قوة تفرض إرادته وتحقق مطلبه. وإن لم يكن واقعياً.. من تلك القصيدة قوله:

قام موسى مجادلاً.. قلت يا مو
سى تراجع فاليوم يوم عصيب

ما أرى اليوم ينتهي بسلام
إن رجعنا وبعضنا مضروب

ليس عبد الفتاح بالرجل العا
قل حتى يرده التأديب

هو مثل الفرسان في الزمن الغا
بر يمشي. والموت منه قريب

أينما سار راضياً أو غضوباً
تبعته معارك وحروب

لو أطلنا جداله لصُرْعنا
وجرى في الثرى دم مصبوب

لا تجادل من عقله في ذراعيـ
ـه فماضي الحياة ليس يؤب

ooooo

لون من ألوان الفلسفة والفكاهة والحكمة!!

سأورد عما قليل أبياتاً أربعة هي من قول الشاعر عبد اللطيف النشار المولود بمدينة دمياطِ بمصر سنة ١٨٩٥م، والمتوفى سنة ١٩٧٢م.. هي في الحقيقة تترجم في معناها الإيجازي قصة ذات فصول تشتمل على جدٍ وهزل معاً.. فهي ذات معنى أدبي يوصف بالفكاهة.. وهي في نفس الوقت ذات معنى سياسي ينبذ السذاجة. وينشط الإدراك الخامل.. ويوقظ الفطنة من الغفلة عن تحريك هاجس التفكير فيما يعترض الحياة من أمور خاصة، أو عامة لدى بعض الناس..

وهي في نظر الآخرين غباء وسوء تصرف يندرج تحت السخرية من النفس حيناً، ويأخذ طابع الفكاهة حيناً آخر. والأبيات هي هذه:

أبصر الكلب وجهه في غدير
وجه كلب ما بين فكيه عظمه

لم يكن جائعاً ولكن حرصاً
لم يزل في طباعه هاج لؤمه

فعوى يحسب العواء سلاحاً
سوف يجديه حين يفزع خصمه

فقد العظمة التي في فيـ
ـه وبعض الطموح عن ضعف همه

وإذا ابتعدنا قليلاً عن شعرة الممزوج جده بهزله.. والذي أوجد فيه تداخلاً يناسب مختلف المفاهيم الفكرية لدى قرائه.. ويضرب به في



جانب من مسالك الفلسفة الأدبية والسياسية والاجتماعية أيضاً.. وبحثنا عن لون آخر من ألوان الشعر في ديوانه الذي ضم معظم قصائده فإننا نجد له وقفات اجتماعية تتصف بوجهات النظر الصائبة والحكيمة.. وبالإرشاد السديد، والدعوة بصريح العبارة إلى التآزر على متطلبات الحياة، والأخذ بيد المحتاج، ومواساته.. وذلك مثل قوله في قصيدة له:

لئن لم يساعد بعضنا البعض حسبة
فيوشك أن يبلى من الحقد أقوام

إذا أرّق الجوع الفقير.. فلا تقل
له الويل.. بل ويل لمن حوله ناموا

لهم أحسنوا إحسانهم لا لغيرهم
إذا نال حق الله من يافث حام

دع الفخر بالأحساب إن كنت محسناً
لنفسك ما قدمت والدهر أيام

والقصيدة طويلة نوعاً ما فهي تبلغ نحواً من ستة عشر بيتاً. وهي ضمن قصائد ديوانه ـ ديوان النشار ـ الذي قامت على جمعه وطباعته، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ooooo



إقامة كإقامة عسيب!!

وعسيب: قيل إنه جبل اتفق بسفحه أحداث.. لكن أين موقعه؟ وهل هناك جبلان أو أجبل متباعدة يُسمّى كل منها عسيباً؟ والبحث عن الإجابة على ذلك لا تفرضه الناحية الجغرافية من حيث معرفة مواقع الجبال وأسمائها فحسب.. ولكن من حيث إن بعض الشعراء كان لهم مواقف استدعت حالتها ذكر «عسيب» فيما يشبه الرثاء أو التفجع على من دفن بجوارها.

ومن خلال ما نقرأوه من الأشعار التي تتضمن ذكر عسيب نذكر أن هناك جبلين كل منهما يُسمّى عسيباً. فالشاعر الجاهلي امرؤ القيس ذكر ـ عسيباً ـ وهو في طريقه من أنقره بعدما انتهى من زيارته لقصير ملك الروم.. وهي زيارة كان لها أهداف سياسية.. وقد نسجت حولها أقوال متضاربة ذكرها الأستاذ حسن السندوبي في مقدمة ديوان امرء القيس.

أما عسيب فقد كان سبب ذكره أن امرء القيس نزل بسفحه أصابه المرض فرأى بقربه قبراً دفنت فيه امرأة من أبناء الملوك. فقال مخاطباً تلك المرأة بعدما أحس بالموت بسبب تقرح جلده:

أجـارتـنـا إن الـخـطـوب تـنـوب
وإنـي مـقـيـم مـا أقـام عـسـيـبُ

أجـارتـنـا إنـا غـريـبـان هـهـنـا
وكـل غـريـب لـلـغـريـب نـسـيـب

فـإن تـصـلـيـنـا فـالـقـرابـة بـيـنـنـا
وإن تـصـرفـيـنـا فـالـقـريـب غـريـب



أجـارتـنـا مـا فـات لـيـس يـؤوب
ومـا هـو آت فـي الـزمـان قـريـب

ولـيـس غـريـبـاً مـن تـنـاءت ديـاره
ولـكـن مـن وارى الـتـرابُ غـريـب

أما عسيب الثاني فقد ذكر صخر بن عمرو بن أسد بن خزيمة، أخو الخنساء في أبيات ذيَّل بها قصة طويلة نوعاً ما، ذكرها الميداني في كتابه «مجمع الأمثال» عندما ذكر المثل القائل: «قد حيل بين العَيْر والنّزوان» وهي هذه:

أجـارتـنـا إن الـحـتـوف تـنـوب
على الناس كل المخطئين تصيب

أجـارتـنـا إن تـسـألـيـنـي فـإنـنـي
مـقـيـم لـعـمـري مـا أقـام عـسـيـب

كـأنـي وقـد أدنـوا لـحـز شـفـاوهـم
من الصبر دامي الصفحتين نكيب

قال الميداني: ثم مات ودفن إلى جنب عسيب. وهو جبل يقرب من المدينة. وقبره معلم هناك. وسبب موته أنه نتأت قطعة من جنبه مثل اللبد في موضع طعنة تلقاها من أبي ثور الأسدي بسبب حكاية يطول ذكرها هنا. لكنه من الممكن الرجوع إلى المثل السالف لمعرفة فحواها. فقطعت تلك القطعة الناتئة في جنبه فمات بسبب قطعها.

○ ○ ○ ○ ○



الله يخلي لي دم عريقيبي!!

في ناحيتنا في منطقة سدير التي تبعد عن الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية من الناحية الشمالية الغربية بحوالي ١٧٠كم، أسمع العجائز وهن يدعين عند ذكر أولادهن بلهجة عامية بهذا الدعاء «الله يخلي لي دم عريقيبي» ومعناه عندهن، أسأل الله أن يبقي لي ولدي.

وقد ضلت نغمة هذا الدعاء بتلك الجهة عالقة في أذني حيث إنه لم يغلب الشك عندي في أنه ليس له أصل في تراثنا الأدبي.. إلى أن عثرت على المثل القائل: «وُلْدُكِ من دميّ عَقِبَيْكِ» في مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني المتوفى سنة ٥١٨هـ. وتفسير الميداني له هو قوله: الوِلْد لغة في الولد حكى المفضل أن امرأة الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وهي امرأة من بلقين ولدت له عقيل بن الطفيل فتبنته كبشة بنت عروة بن جعفر بن كلاب. فقدم عقيل على أمه يوماً فضربته فجاءتها كبشة حتى منعتها وقالت: ابني ابني. فقالت: القينة ولدك ـ ويروى ابنك ـ من دمي عقبيك؛ يعني الذي نفست به فأدمى النفاس عقبيك؛ أي من ولدته فهو ابنك لا هذا فرجعت كبشة وقد ساءها ما سمعت ثم ولدت بعد ذلك عامر بن الطفيل.

قلت: وعامر بن الطفيل هو: عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر أنهى الناسبون نسبه إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أما أمه فهي كبشة بنت عروة الرَّحال بن عتبة بن جعفر. وقد كانت وفاته في السنة العاشرة من الهجرة أو بعدها: وهو يكنى بأبي علي.



وهو شاعر يمتاز شعره بالاعتزاز بالنفس، وهو كثير الافتخار بقومه. ويظهر حبه لفرسه، وكان يعدّ من أشهر فرسان العرب، وله وقائع مع مذحج وغطفان، وخشعم، ومع شجاعته، وصف بالسخاء والحلم.. أما شعره فمن قوله:

لِلمُقْرباتِ غُدُوٌّ حين نُحضرها
وغارةٌ تستثير النقع في رهج

فما يفارقني المزنوقُ محتملاً
رِحالةً شدّها المضمار بالثبج[1]

إذا نعى الحرب ناعوها بدت لهم
أبناءُ عامر تُزجى كل مُخْتَرَج

عليهم البيض والأبدان سابغةً
يُقحِّمُون كأن القوم في رهج

صَبَحْنَ عبسا عداة الروع آونة
وهُنّ عالين بابن الجوْن في درج

وانقضّت الخيل من وادي الذناب وقد
أصغتْ أسنتّها حمراً من الودج

إن تسألي الخيل عنا في مواقفها
يوم المشقر والأبطال في زعج

تُخبرك أني أعيد الكرّ بينهم
إذا القنا حُطّمتْ في يوم معتلج

ooooo

---

(١) المزنوق: اسم فرس عامر بن الطفيل.

كافور وقهرمانته

والذي يتصفح كتب التراث الأدبي يجدها مليئة من طرائف الأخبار ونوادر المواقف الأمر الذي يشجع كل ذي قلم على نقلها. وإفرادها في موضع مستقل تحت عنوان معين يمكنه من الرجوع إليه بصورتها أو يهذبها تهذيباً يشوق لقراءتها.

من ذلك مثلاً ما كان لكافور الأخشيدي مع قهرمانته من موقف طريف ونادر يحسن بي استخلاصه من ترجمة حياة كافور الذي توفى يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٠هـ، عن عمر ناهز الخامسة والستين وذلك بمضي سنتين وثلاثة أشهر على ولاية مصر والشام وبعض الأمصار.. والموقف كما جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان. هو أنه كان في دار كافور قهرمانة بغدادية ما تهدأ من البكاء على ابنة لها خلفتها ببغداد بنت سبع سنين فقال لها كافور: منذ كم غبت عنها؟ فقالت: من ثمان سنين. فأرسل كافور أمراً إلى صاحب له ببغداد وأمره بتحصيلها وإنفاذها. فحملت الصبية إلى مصر. وقد صارت بنت ست عشرة سنة وحسنت. فلما جاءت إلى دار كافور قال للجواري: أخرجنها عليَّ في جوار يعرضن للبيع ولا تعلم القهرمانة. وتكون هي التي تخرجهن فجاءت إليه القهرمانة فقالت: يا مولاي. قد جاؤا بالجواري فأعرضهن عليك؟ فقال: افعلي. فاخرجتهن وبنتها فيهن ولا تعلم؛ فلما عرض قال كافور للقهرمانة: ما فيهن إلّا هذه الصبية، وأراها مليحة، فأيش عندك؟ فقالت القهرمانة: نعم يا مولاي، هي والله مليحة حلوة. فقال لها: ويحك هي ابنتك، أرسلت إلي من بغداد وتلطفت في أمرها حتى حملت إليك من بغداد. فقبلت الأرض بين يديه، وبكت بكاء شديداً فكأنها القائل في بعض شعره:



هجم السرور عليّ حتى إنه
من عظم ما قد سرني أبكاني

يا عين صار الدمع عندك عادة
تبكين في فرح وفي أحزان

قلتُ: وكأني بلسان حالها يقول ما قاله أبو تمام:

أولى البرية طراً أن تواسيه
عند السرور الذي واساك في الحزن

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا
من كان يألفهم في المنزل الخشن

ولكأنها القائل وأحسبه «معقل أخو أبي دلف» في بث ما بنفسها لمولاها:

لعمري وإن قرت بقربك أعين
لقد سخنت بالبين عنك عيون

فسر أو أقم وقفٌ عليك مودتي
مكانك من قبلي عليك مصون

وكأني بها وقد التفت إليها كافور ينظر إليها وهي تضم بكل شوق ابنتها تتمثل بقول ابن الخياط:

يهوى الثناء مبرر ومقصر
حب الثناء طبيعة الإنسان

ثم لكأني بكافور الأخشيدي يرسم الصورة التي رآها متمثلاً بقول ابن الرومي:

أعانقه والنفس بعد مشوقة
إليه وهل بعد العناق تداني



عامر يطلب إلى النبي المخاللة وإلى الموت المبارزة!!!

وعامر: هو عامر بن الطفيل تقدمت ترجمته في هذا الجزء عنوان: «الله يخلي لي دم عريقيبي» قيل: إنه لما علم بانتصارات النبي ﷺ ومبايعة القبائل له. خطر بباله أن يشاطره السلطان فجاءه في وفد من قومه من السنة العاشرة. يصحبه أربد أخو لبيد الشاعر. وقد اتفق وأربد على أن يشغل عامر النبيّ بالحديث ويعلوه أربد بالسيف. ولكن هذا لم يجرؤ واحتج لعامر حينما لامه بأنه كلما همّ بأن يضرب النبي يرى عامرا حائلاً بينهما.

وقد طلب عامر من النبي أن يتخذ خليلاً فقال له النبي ﷺ: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده». فرضي أن يؤمن على أن يكون له سكان الخيام وللنبي سكان القرى، وأن يجعل له نصف ثمار المدينة. فرفض النبي ﷺ فخرج مغضباً وهو يقول: لأملأنها عليك خيلاً جرداً ورجالاً مرداً، ولأربطن بكل نخلة فرساً. فقال النبي: «اللهم اكفني عامراً واهد بني عامر».

وفيما كان عامر عائداً وأربد سقطت صاعقة على أربد فقتلته وأصيب عامر بالطاعون في عنقه فاحتبس في بيت امرأة من قبيلة سلول، وهي من القبائل المستضعفة، فكان يصيح غيظاً وألماً: يا موت ابرز لي!! أغدّةُ كغدة البعير، وموت في بيت سلولية.. وظل كذلك إلى أن هلك. فنصب عليه بنو عامر أنصاباً ميلاً في ميل رحمةً على قبره، لا تدخله ماشية، ولا تنشر فيه راعية ولا ترعى، ولا يسلكه راكب ولا ماشٍ.

وكان جبّار بن سلمى بن عامر بن مالك بن جعفر غائباً. فلما قدم



قال: ما هذه الأنصاب؟ قالوا: نصبناها حمىً على قبر عامر.. قال: ضيقتم على أبي عليّ. إن أبا علي بان من الناس بثلاث: كان لا يعطش حتى تعطش الإبل، ولا يضل حتى يضل النجم، ولا يجبن حتى يجبن الليل، ولا يقف حتى يقف السيل، والحرف الرابع زيادة أبي العباس.

وعامر بن الطفيل شاعر، وله ديوان مطبوع. ومن شعره قوله يفتخر بنفسه وشجاعته وقوته:

لقد تعلم الحرب أنّي ابْنُها
وأني الهمام بها المُعْلِمُ

وأني أحُلّ على رهوة
والمجد في الشرف الأعظم

وأني أشَمِّصُ بالدارعين
ن في ثورة الرهج الاقتسم

وأني أكر إذا أحجموا
بأكرم من عطْفهِ الضيغم

وأضرب بالسيف يوم الوغى
أقُدّ به حلق المُبْرَم

فهذا عتادى لَوَ انّ الفتى
يعمر في غير ما يهرم

وقد علم الحيُّ من عامر
بأن لنا ذروة الأجسم

وأنا المصاليت يوم الوغى
إذا ما العواويرُ لم تُقدم[1]

(١) العواوير: جمع عوار، وهو الجبان.

جزء من صفة دخول رسول الله مكة!!

لقد كان فتح مكة في أرجح الأقوال في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان المبارك من العام الثامن من الهجرة النبوية الشريفة. وقد كانت صفته ﷺ يوم دخلوه مكة. ما روي عن جابر أن النبي ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام.

وروى عن عائشة رضي الله عنها أنه كان لواء رسول الله ﷺ يوم فتح مكة أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب. وكانت قطعة من مرط مرجل. وروى البخاري عن عبد الله بن قرة قال: سمعت عبد الله بن مغفل يقول: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء. وأنه ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما كرمه الله به من الفتح حتى أن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل.

وروي عن ابن مسعود أن رجلاً كلم رسول الله ﷺ يوم الفتح فأخذته الرعدة فقال: «هون عليك فإنما أنا ابن امرأة تأكل القديد».

وروي عن ابن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل. وسهيل بن عروة وكانوا قد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا. وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحاً قبل قدوم رسول الله ويصلح منه فقالت له امرأته: لماذا تعد ما



أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه. فقالت: والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء. قال: والله إني لأرجو أن أُخدمك بعضهم.. ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهل. فلما لقيهم المسلمون وقتلوا منهم قريباً من ثلاثة عشر شخصاً انهزم حماس حتى دخل بيته. ثم قال لامرأته اغلقي علي الباب. قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدتِ يوم الخندمة
إذ فَرّ صفوان وفرّ عكرمة
وأبو يزيد قائم كالمؤتمة
واستقبلتهم بالسيوف المسلّمة
تقطعن كل ساعد وجمجمة
ضرباً فلا يسمع إلا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه
لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

إلّا أن ابن هشام قال: وتروى هذه الأبيات للرعاش الهذلي.

○○○○○

خدمة الحجاج وسلامتهم على رأس اهتمامات الدولة!!

لقد كان للحجاج مساهمة في دعم ما يقدم لهم من خدمات وذلك على هيئة رسوم يدفعها الحجاج عند قدومهم.

وتخفيفا عن كاهل الحاج أصدر جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن يرحمه الله مرسوماً بإلغاء الرسوم التي كانت مفروضة على الحجاج. وقد ترجم ذلك المرسوم رخاء العيش الذي تتمتع به المملكة. وهو رخاء كان من أولوياته إلغاء الرسوم حيث لم تعد الدولة في حاجة إلى تحصيل تلك الرسوم التي كانت تستعين بها في السابق على خدمة الحجاج.

أقول: منذ ذلك الحين والدولة السعودية تسعى لراحة الحجيج وتبحث عن أفضل السبل التي تيسر لهم تأدية حجهم في رخاء وأمن وصحة واستقرار نفسي يجلب السعادة الروحية. والطمأنية القلبية لهم.

والذي يحج مرة في عصرنا هذا يدرك تمام الإدراك نشاطات جميع قطاعات الدولة ويتبين له أن خدمة الحجاج وسلامتهم على رأس اهتمامات الدولة.

أما إلغاء الرسوم التي كانت مفروضة على الحجاج بالصورة التي أشرت إليها آنفاًفقد كان له صدى واسع في حينه ولهجت به ألسن الحجاج. وأشادت به الشعراء.. وكان من بين الشعراء الذين أشاءوا بإلغاء الرسوم الشاعر الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان الذي صنع قصيدة نوه فيها بأريحية الملك عبد العزيز. وحبه لخدمه الحجاج. منها قوله:



وفود الورى بين الحطيم وزمزم
تمدُّ يداً من خالص القلب والفم

تنادي بقلب خاشع متذلل
وتنشر شكراً للمليك المعظم

إمام الورى عبد العزيز بن فيصل
كريم السجايا مع تقى وتكرم

بما قد حباهم من كرامة ماجد
بوضع رسوم في الورى متقدم

ولو أنه من قبل يصرف كله
لمصلحة الحجاج في كل موسم

ولكن ذا من بعض إنعامه على
وفود الورى في الحج إعطاء منعم

ومنها قوله:

سعى جهده في راحة الناس كلهم
ببذل نفوس مع ملايين درهم

ولا سيما من جاء للحج قاصداً
وصولاً لعون من مسير ومطعم

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢٦ بيتاً وقد ضمها الجزء الأول من ديوانه: «ديوان الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان» الذي حققه وقدم له الدكتور: إبراهيم فوزان الفوزان.

○ ○ ○ ○ ○

الشعر في رسم صورة خدمات الحجاج!!

إن مليوني نسمة تتجه في يوم واحد إلى صعيد واحد. ثم تنصرف منه في ساعة واحدة لهو أمر يحتاج إلى جهود جبارة ذات أداء مختلف. وخدمات متنوعة. بدءاً بالمرور وتنظيم السير. ومروراً بالأمن وتوفير المياه للشرب وللأغراض الأخرى. وتلطيف المناخ الجوي الذي يأتي في سنوات من كل عصر هي غاية في ارتفاع درجة الحرارة.. وانتهاء بالصحة العامة ومراقبة ظهور الأمراض الوبائية، ومشكلات النظافة، وما يسببه الزحام من ضياع ومن بعض الأمور التي تقع بين ذلك التجمع العظيم - أعنى بالتجمع العظيم - تجمع الحجيج الذي صار يبلغ تعداده أكثر من مليوني حاج على صعيد عرفة ومن في أيام معدودة ومفروضة على كل من قصد الحج.

وبحكم أن مشاعر الحج والحرمين الشرفين جزءاً من مملكتنا الحبيبة. فإن الحجاج القادمين إليها لتأدية مناسك الحج أو العمرة أو الزيارة هم ضيوف على بلادنا. وتجب علينا خدمتهم وتقديم كل ما يلزم لراحتهم حتى يتفرغوا لأداء مناسكهم بكل طمأنينة ويسر وراحة بال... أما حكومتنا الرشيدة فقد حرصت كل الحرص على سلامة الحجاج من جميع الوجوه وقد جندت جميع الإمكانات التي من شأنها تقديم أفضل الخدمات لهم بلا من ولا تمن.

وجمع كالجمع الذي ذكرته أنفاً لا بد أن ترصد لخدمته أموال طائلة. وطاقات بشرية هائلة تبذل في سبيل راحة ذلك الجمع جهوداً كبيرة.



ولهذا فإنه في كل عام تُقَيّمُ الجهود وينظر إلى ما كان فيه تقصير فيتدارك في العام الذي يلي وكهذا كل عام.

وفي حج عام ١٤١٢هـ الذي شهد تجمعاً عظيماً ناف تعداده على مليوني نسمة. نظم الشاعر السعودي عمر عبد ربه قصيدة رسم فيها جانب من صورة الخدمات التي تقدم للحجاج. وما لها من إيجابيات. منها قوله:

عُدْنا من الحج لا «حمى» ولا مرض
ولا انْفُلُونْزاً ولا زكماً ولا نصبُ

ولا وباء ولا أمراض معدية
وكُليراً ولا مغصاً ولا تعبُ

ولا حوادث وقت السير في طرق
كانت تُعَجُّ «بمليوني» إذا حسبوا

من كل جنس من البلدان أجمعها
حتى من الروس بعضٌ منهموا شيب

مليون شخص بواد واحد وقفوا
كانوا ملبين أن الله يحتسب

مليون آخر من أهل البلاد أتوا
من داخل البيت أو من جاء يكتسب

أدوا الفريضة في يسر وميسرة
من دون خوف ولا بأس ولا كُرب

الكل جاءوا ويرجو منه رحمته
أقضي ثواباً وما في البيت مرتقب

○○○○○

جوار ولد كل منهن خليفتين!!!

اهتم بعض مؤرخي الأدب الذي أصبح تراثاً ومعيناً نغترف منه وننعم بقراءته بتتبع بعض الموافقات الملفتة للنظر. ففي كتاب «البداية والنهاية» لاحظ الحافظ ابن كثير الشيء الكثير من تاريخ الأدب وأشار إليه بشيء من الدقة. ففي مجال توافق الأشياء وتجانسها ما ذكره من الجواري اللائي ولد كل منهن خليفتين. فذكر الولادة بنت العباس العبسية زوجة عبد الملك بن مروان، وهي أم الوليد، وسليمان، وكلاهما ولي الخلافة. وكذلك لشاه فرند بنت فيروز بن يزدجره ولدت لمولاها الوليد بن عبد الملك، مروان وإبراهيم، وكلاهما ولي الخلافة. وكذلك الخيزران جارية المهدي التي عرضت عليه ليشتريها فأعجبته إلّا دقة في ساقيها، فقال لها: يا جارية إنك لعل غاية المنى والجمال لولا دقة ساقيك وخموشهما. فقالت: يا أمير المؤمنين إنك أحوج ما تكون إليهما لا تراهما. فاستحسن جوابها واشتراها وحظيت عنده جداً. ثم أعتقها وتزوجها وولدت له خليفتين موسى الهادي، والرشيد.

ويروي أن الخيزران حجت مرة في حياة المهدي فكتب إليها وهي بمكة يستوحش لها. ويتشوق إليها بهذا الشعر:

نحن في غاية السرور ولكن
ليس إلّا بكم يتم السرور

عيبُ ما نحن فيه يا أهل ودي
أنكم غُيبٌ ونحن حضور



فأجدوا في السير بل إن قدرتم
أن تطيروا مع الرياح فطيروا

فأجابته أو أمرت من أجابه:

قد أتانا الذي وصفت من الشو
ق فكدنا وما قدرنا نطير

ليت أن الرياح كن يؤدينَ
إليكم ما قد يكن الضمير

لم أزل صبةُ فإن كنتَ بعدي
في سرور فدام ذاك السرور

وكان للرشيد جارية سماها هيلانة لكثرة قولها: هي لأنه، قال الأصمعي: وكان لها محباً ـ يعني بذلك الرشيد ـ وكانت قبله لخالد بن يحيى البرمكي. فدخل الرشيد يوماً منزله قبل الخلافة فاعترضته في طريقه وقالت: أما لنا منك نصيب؟ فقال: وكيف السبيل إلى ذلك؟ فقالت: استوهبني من هذا الشيخ. فاستوهبها من يحيى بن خالد فوهبها له وحظيت عنده. ومكثت عنده ثلاث سنين ثم توفيت سنة ١٧٣هـ، فحزن عليها حزناً شديداً ورثاها. وكان من قوله فيها:

قد قلت لما ضمنوك الثرى
وجالت الحسرةُ في صدري

إذْ هَبْ فلاق الله لا سرني
بعدك شيء آخر الدهر

وبعد أليست هذه وأمثالها لقطات قد دونها لنا علماؤنا فكانت قراءتها متعة لنا؟!.

○ ○ ○ ○ ○

توافق الأريحيات في مجال الكرم

يفصل التاريخ بين حياة الملك عبد العزيز آل سعود المولود في ١٢٩٧/١٢/٢٩هـ والمتوفى عام ١٣٧٣هـ وحياة أمير المؤمنين محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالمهدي المولود عام ١٢٦هـ، والمتوفى عام ١٦٩هـ ما مقداره (١٢٠٤) سنة وعلى الأعم من هذا فهناك توافق في الأريحيات وحب الخير. والتوافق في ذلك هو على النحو التالي.. الأول للمهدي. وملخصه: أن أعرابياً رفع كتاباً للمهدي فلما فتح فإذا به قطعة أديم فيها كتابة ضعيفة. قال هي خط المهدي.. فقال المهدي: صدق هذا خطي؛ إني خرجت يوماً إلى الصيد فضعت عن الجيش فرفع لي نار من بعيد فقصدتها فإذا هذا الشيخ وامرأته في خباء يوقدان ناراً. فسلمت عليهما فرد السلام وفرش لي كساء وسقاني مذقة من لبن مشوب بماء. فما شربت شيئاً إلّا وهي أطيب منه، ونمت نومة على تلك العباءة ما أذكر أني نمت أحلى منها. فقام إلى شويهة له فذبحها فسمعتُ امرأته تقول له: عمدت إلى مكسبك ومعيشة أولادك فذبحتها. هلكت نفسك وعيالك فما التفت إليها. واستيقظت فاشتويت من لحم تلك الشويهة وقلت له: أعندك شيء أكتب لك فيه كتاباً؟. فأتاني بهذه القطعة. فكتبت له بعود من ذلك الرماد خمسمائة ألف. وإنما أردت خمسين ألفاً. والله لأنفذنها له كلها ولو لم يكن في بيت المال سواها فأمر له بخمسمائة ألف فقبضها الأعرابي واستمر مقيماً في ذلك الموضع في طريق الحاج من ناحية الأنبار. فجعل يقري الضيف ومن مرّ به والناس فعرف منزله بمنزل مضيف أمير المؤمنين المهدي.

وما يوافق ذلك من بعض مواقف الملك عبد العزيز والتي جمعت شيئاً منها في كتابي «شذرات ومواجيز. من حياة ومواقف الملك عبد العزيز» هو أن رجلاً شكا إليه مضايقة الغرماء له، وأن عليه مائة جنيه ذهباً، وطلب من جلالته المساعدة لسدادها. فأمر أن يحقق عن مقدار الدين فثبت أنه كما ذكر فكتب الملك بخطه على الطلب بإعطائه مائة جنيه. ولكنه تغلب عليه الكرم فكتبت يمناه ثلاثة أصفار بدلاً من صفرين ـ يعني ألف جنيه ـ ولما وصل الآمر إلى شلهوب مدير مال الخاصة الملكية لاحظ ذلك، فذهب إلى جلالته مستفسراً. فقال: ليس القلم بأكرم مني. فاصرف له ما قسمه الله له فأعطي الرجل الألف جنيه. فأخذها وانصرف داعياً المولى أن يحفظ جلالته.

هذا هو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن الفيصل آل سعود. وذاك هو المهدي.. أليس في موقفيهما هذين تشابه وتتطابق وتوافق أريحي وسخاء عربي تبذله نفس جُلّ همها ما يسعد رعيتها.. ولقد نطق الشعر بذلك. فقال الشاعر محمد بن بليهد من قصيدة ممتدحاً عبد العزيز:

عبد العزيز فلا في الناس قاطبة
له قرين حواه البر والبحر

وله من قصيدة أخرى:

عبد العزيز الذي قد كان مرتدياً
بالعدل والجود والإحسان مؤتزرا

ويقول الشاعر فؤاد شاكر من قصيدة قالها بمناسبة افتتاح المؤتمر الوطني المنعقد برئاسة جلالة الملك عبد العزيز في وادي منى عام ١٣٥٠هـ:

لمن المهابة والكياسة ألقتا
أرسانها ولمن أعد المنبر



ومن الذي حل الندى بل الذي
يخطو الندى إلى علاه ويخطر

عبد العزيز وحسب من ذكر اسمه
بين الملوك وعندهم أن يفخروا

نام الرعاة وأسبلوا أجفانهم
وعيونهم يقظى تجول وتسهر

ملك صنائعه الجميلة جمة
كالزهر في تعدادها أو أكثر

أفديه من ملك يذود بنفسه
عن دينه وبلاده ما ينكر

○ ○ ○ ○ ○

كيف عورت عين عامر؟!!

وعامر هو عامر بن الطفيل المتوفى سنة ١٠ من الهجرة. وقد سبقت ترجمته تحت عنوان «الله يخلي لي دم عريقيبي». أما كيف عورت عينه؟ فقد جاء في مقدمة ديوانه.. فذكر أنه كان في يوم فيف الذي كان بين قومه بني عامر وقبائل اليمن.. حيث غارت هذه القبائل على العامريين في موضع يقال له: فيف الريح، وضايقتهم حتى تقهقروا. وإذا بعامر يقبل عليهم فاشتدّت عزائمهم بكرّاته على الأعداء وفتكه بهم. فاندفعوا معه في حومة الوغى. حتى إن الواحد منهم كان إذا طعن الطعنة ينادي ـ يا أبا علي «وهي كنية عامر» ـ وفيما كان عامر متغلغلاً في جموع الأعداء فاجأه من ورائه مسهر بن يزيد الحارثي. وقد رمحه إلى أذنه قائلاً له: عندك يا عمر. وطعنه فأصاب عينه ففقأها. فوثب عامر عن فرسه إلى الأرض ونجا عدواً على رجليه والدم يسيل من عينه.

وقد ذكر الراوة حادثاً وقع له بعد عوره مع كسرى أنوشروان. حيث كان في الوفد الذي أرسله النعمان إلى كسرى ليريه فضل العرب. فتكلم عامر بين يدي ملك الفرس فأظهر غلظة وتهديداً يدل على جرأته وخشونته. فقال كسرى: متى تكاهنت يا عامر؟ قال: لست كاهناً ولكني بالرمح طاعناً. قال كسرى: فإن أتاك آتٍ من جهة عينك العوراء ما أنت صانع؟. قال: ما هيبتي في قفاي بدون هيبتي في وجهي.

وكان عامر بن الطفيل من أشهر فرسان العرب بأساً وشدَّة ونجدة. وأبعدها اسماً حتى بلغ به ذلك أن قيصر إذا قدم عليه قادم من العرب



قال: ما بينك وبين عامر بن الطفيل؟ فإن ذكر نسباً عَظُمَ به عنده..
وكان عمرو بن معدي كرب وهو فارس اليمن يقول: ما أبالي أي ظعينة لقيتُ على ماء من أمواه مَعَدٍّ ما لم يلقني دونها حُرَّاها أو عبداها. يعني بالحرين عارم بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي. والعبدان: عنترة العبسي والسليك بن سلكة وهو ابن عامر بن يشربيّ السعدي.. واتهم عامر بخصال مذمومة منها عقمه فهو لا ينسل. وجفاة طبعة، وعنجهيته وظلمه، وبخله غير أن قومه لم يلتفتوا إلى كل ذلك. فسوّدوه عليهم بعد أن شاخ سيدهم؛ عمه أبو براء الملقب بملاعب الأسنة فأبى أن يسوّدوه الوراثة لأنه كان يرى في نفسه وأعماله ما يمكن له السيادة ويعقد له هالة المجد، فليس له به حاجة إلى أمجاد قومه..
ومما يستدل على ذلك من شعره قوله من قصيدة له:

لقد علمت عُلْيا هوازن أنني
أنا الفارس الحامي حقيقة جعفرا(١)

وقد علم المزنوق أني أكرّه
عشية فيف الريح كرّ المشهر(٢)

إذا أزورّ من وقع الرماح زجرته
وقلت له ارجع مقبلاً غير مدبر

وأنبأته أن الفرار خزاية
على المرء ما لم يُبْلِ عذراً فيعذر

ألست ترى أرماحها فيّ شرعاً
وأنت حصان ماجد العرق قاصر

ومنها قوله:

---

(١) جعفر هو جده.

(٢) المزنوق: اسم فرسه وله فرس اسمه: دُعْلُج، اقتناه بعد أن عقر المزنوق.

لعمري وما عمري عليَّ بهين
لقد شان حُرَّ الوجه طعنة مسهر

فبئس الفتى إن كنتُ أعور عاقرا
جباناً فما عذري لدى كل محضر

وقد علموا أني أكرّ عليهم
عشية فيف الريح كرّ المُدَوّرِ

○○○○○

ابن أبي حصينة وعينة من شعره!!

مما لا شك فيه أن لكل شيءٍ عينه تمثل أجوده.. والعينة في الملموسات لا يحصل خلاف على أنها أطيب ما يكون منها.

أما المحسوسات التي لا تميز عينها إلّا بالإدراك. وبجاذبية الفكر. وسلامة الذوق الحسن. وذلك كتمييز الكتب بعضها عن بعض. وتعيين عيون الشعر بصفة عامة.. وعينة قصائد ديوان ما بصفة خاصة وما إلى ذلك مما ينتخب فإن ذلك يخضع لاختلاف المفاهيم. وتنوع المدارك لدى بعض الناس. إذ إن لكل شيء ما يدرك به.. ولذا يحصل خلافاً عند تعيين قصيدة من بين قصائد ديوان ما. والدليل على ذلك أننا لو عرضنا ديوان شعر على عدد من ذواقة الشعر وطلبنا إلى كل واحد أن يعين قصيدة من أجود قصائده لما حصل اتفاق من أكثرهم على تعيين قصيدة واحدة. وإنما نجد عدداً من القصائد المرشحة كعينة لأجود ما في الديوان.

أقول هذه الخاطرة. وأنا أقرأ ديوان ابن أبي حصينة واسمه: الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار السلمي المشهور بابن أبي حصينة والمتوفى سنة ٤٥٦هـ، وهو شاعر فحل. وشعره لا يوصف بحطب ليل. بل هو الرطب الجني.. فهو إن مدح بلغ السها في المديح وإن افتخر علا الجوزاء تقرأ شعره فتجد كل ما يحويه الشعر من الحلاوة والطلاوة، ومن البديع البلاغة، ومن قوة السبك وجوده الصياغة.

وحيث إنني قد عقدت العزم على عرض عينة من قصائده.. فقد



وقفت على واحدة من قصائدة التي لا تكاد تُعين بعضها عن بعض. وهي واحدة من قصائده التي يمتدح بها أبا العلوان الأمير شمال بن الأمير علي بن مرداس السلمى.. حيث التفت عن التغزل والغزل، والوقوف على الدمنة والطلل، مخالفاً بذلك الشعراء الأول في بعض استدلالاته لقصائده التي عرض فيها بعضاً مما جلبته خاطرته إلى قريحته من الحكم التي بلغ في صياغتها الغاية التي ينشدها.. منها قوله:

بصحة العزم يعلو كل معتزم
وما جلا غمرات الهمّ كالهمم

والعز يوجد في شيئين موطنه
إما شباةُ حُسام أو شبا قلم

وأعْرف الناس بالدنيا أخو فطن
لا ينظر اليُسر إلّا منظر العدم

غِنىٰ اللئيم الذي يُشْفىٰ به عَنَتٌ
وفاقة الحرِّ منجاة من السقم

يزداد ذو المال همّاً بالغنىٰ وأذى
كالنبت زادتْ أذاه كثرة الرَّهم

كن من تشاء ونل خطا تعيش به
فالخِصبُ في الوهد مثل الخِصب في الأَسَم

ليس الحظوظ وإن كانت مقسمة
بناظراتٍ إلى جهل ولا فهم

لا ينقص الحُرَّ ما يعدوه من جدة
ولا تحط كريماً قلة القِسَم

○○○○○

المتنبي يفتخر بالكرم. وهو أبخل الأمم!!

يكاد يجزم الإنسان الذي يقرأ مدائح الشعراء بأن قائليها من أكرم الناس وأسخاهم مستنداً في ذلك إلى أنهم ما وضعوا الجواد والكريم إلّا لأنه الكرم صفة من صفاتهم والجود طبع من طباعهم، وأنهم لعلهم بفاعلية الكرم ومكانة الكريم قد أثنوا على ممدوحيهم بما كانوا يمارسونه. . لكننا إذا ما مضينا في دراسة سير بعض الشعراء المداحين تكشف لنا من أمرهم ما يثبت بأنهم من ألئم الناس وأبخلهم ـ وأنهم قد قالوا ما لم يفعلوا ـ وأنهم كالذي يأمر بالتقوى وهو غير تقي.

والممعن في دراسة حياة أكثرهم يجدْ أنهم يَسْتَجْدون ولا يُجْدُون، ويَسْتَعْطِفُون ولا يَعْطِفُون، . ويستطعمون، ولا يطعمون، بل إن بعضهم تكون له ردود سيئة لمن يستجديهم. وإجابة ساخرة تقطع أمل من يمد أمله في النيل من نوالهم. . . وإذا ما أردنا سياق أمثلة ندلل على صحة ما أسلفنا. فهذا الشاعر المشهور أبو الطيب المتنبي الذي يصف الكرم ويفاخر به وكأنه واحد من الكرماء. وذلك بقوله في إحدى قصائده:

أمط عنك تشبيهي بما وكأنه
فما أحد فوقي ولا أحد مثلي

وذرني وإيّاه وطِرْفي وذابل
نكن واحداً يلقى الورى وانظرن فعلي

وقوله في إحدى قصائده:

وليفخر الفخر بإذ غدوت به
مرتدياً خيره ومنتعله



وبقوله من قصيدة أخرى:

ومن يبغي ما أبغي من المجد والعلا
تساوت المحابي عنده والمقاتل

وبقوله منها:

تُحقّر عندي همسُ كل مطلب
ويقصر في عيني المدى المتطاول

وبقوله منها:

غثاثةُ عيشي أن تَغِثَ كرامتي
ولي بغث أن تغث المآكل

هذا قليل من كثير امتدح به المتنبي نفسه.. والذي يثبت عدم مصداقيته ما روي من أن شاعراً امتدحه فقال له المتنبي: كم أملت منا على مدحك؟ فأجابه: عشر دنانير. فقال المتنبي: والله لو ندفت قطن الأرض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقاً.

إنها إجابة قطعت أمل الشاعر، لكنها فتحت على المتنبي باب لوم أقل شاهد عليه قول ابن أبي فنن:

ذريني وإتلافي لمالي فإنني
أحب من الأخلاق ما هو أجمل

وإن أحق الناس باللوم شاعر
يلوم على البخل الرجال ويبخل

○○○○○

أحياناً يكون الاسم سبباً من أسباب المداعبة!!

لا يختلف في أن غالبية المداعبات تكون وليدة مناسبة؛ لأن الصناعة فيها قليلة جداً.. وتحقيق ذلك يظهر جلياً عندما نلقي نظرة عابرة على ما تزخر به كتب التراث الأدبي من مداعبات.. فنجد لمعظم المداعبات توطئات تدلنا على المناسبة التي سببت صنعها.

وتختلف نوعيات المداعبات الأدبية بحسب اختلاف المستوى الثقافي والاجتماعي والخلقي للمتداعبين. وهي ـ وأعني بذلك المداعبة ـ يكون لها نكهة يتعشقها القارئ إذا دارت رحاها بين شاعرين متكافئين.

والمداعبة بحد ذاتها وبشكلها العام فن يمهر في ممارسته فئة من الناس إذ لها أسلوب متميز يتطلب مقدرة كلامية تفرض ملاحة عبارتها استساغتها. وتجعل منها عاملاً يخلق الابتسامة على شفة متلقيها، وقارئها معاً.

وصناعة المداعبة تكون في الغالب نتاج تبادل كلامي سواء كان شعراً أو نثراً بين المتداعبين. على أن ليس تبادلها بينهما شرطاً، فهي قد تأتي من جانب واحد. وذلك كأن يداعب أحدهم الآخر فلا يحصل على رد منه أما من الخوف من تعدي حدود الأدب.. أو لأنها ـ أي المداعبة ـ تأتي غير محتملة لأية إضافة.

والأسماء ربما كانت سبباً من أسباب إيجاد مداعبة موجهة لأصحابها.. فاسم الغراب أو الصقر أو الأسد أو الثعلب. أو ما إلى ذلك من الأسماء التي تهيئ الجو الموافق والمجال المناسب وتفتح نافذة من المداعبة على صاحبه. من ذلك أن الأستاذ عبد الله بن حمود



العبودي زار صديقه الأستاذ ناصر الغراب في مكتبه فصادفه مشغولاً بالمعاملات فخرج من مكتبه ببرود تلقيه إياه فكتب العبودي قصيدة دعابية منها قوله:

فـرّ الـغـراب مـن الـخـلـيـن إذ زارا
مـاذا جرى لـلـغـراب الـخـل إذ طـارا

عـهـدي بـه لـبـقـاً لـمـا تـجـالـسـه
مـاذا أصـاب رفـيـق الـعـمـر إذ سـارا

هل يا ترى شد منه الريش في عجل
أم اسـتـهـان بـنـا أم عـقـلـه حـارا

أم مـكـرهـا مـن رفـاق جـاء مـوعـدهـم
لـم يـسـتـطـع دفـعـهـم أم كـان مـكـاراً

لـم أعـرف الـمـكـر مـنـه في مـحـادثـة
أنـعـم بـه فـاعـلاً لـلـخـيـر أمـارا

ومنها قوله:

يـؤدَبُ الـخـل مـن هـجـر لـمـجـلـسـنـا
إذ قـام مـن عـنـدنـا وازور مـخـتـارا

بذبح كبش سمين في الصباح لنا
نشوى من اللحم لما يوقد النارا

إن أثقل الكبش ظهر الشيخ نعذره
بـذبـح تـيـس وكـان الله غـفـارا

والقصيدة أطول من ذلك وقد قرأتها منشورة في العدد ٩٩١٠ من جريدة الرياض يوم السبت ١٦ ربيع الأول عام ١٤١٦هـ.



جانب من بعض الجانب التبعيضي
عند أبي الطيب المتنبي

يأخذ الكتاب والباحثون والشعراء حينما يتناولون موضوعاً يكون للرأي الخاص فيه مجال. الحذر من قلم الناقد.. ويغلقون الباب في وجه من يحاول التصدي لما يكتبونه مما يخضع للدرس والمناقشة. وذلك يأخذ الحيطة بعدم التعميم واللجؤ إلى التبعيض في أحكامهم وآرائهم التي يرون أن لقلم الناقد فيها تدخل قد يرتفع إلى مستوى الاعتراض عليهم.. وحتى لا يُستخف بآرائهم ويكذبون فيما يقولون لجأوا إلى التبعيض الذي يجدون مجالاً للمباسطة. ومخرجاً يحافظون منه على سلامة أحكامهم وصحة آرائهم.

والشعراء الحكماء لا يعممون أو يبعضون إلّا عن قناعة تامة لديهم.. أما الذين يخبطون خبط عشواء في إصدار آرائهم فنجدهم عرضة للانتقاد.. وحتى لا يطول البحث في هذا الموضوع طولاً يتطلب سياق أمثلة. أرى أن نقف على جانب من بعض تبعيضات المتنبي التي اشتملت عليها بعض قصائده ذات القافية اللامية.

فمن قصيدة امتدح بها بدر بن عمار قوله:

سفك الدماء بجوده لا بأسه
كرماً لأن الطير بعضُ عياله

وواضح أن هذا البيت قد اشتمل على صورة بلاغية ومفردة شعرية حيث جعل سفك دماء الأعداء عن جود لا عن بأس. وأن هذا الجود



قد كان إكراماً للطير التي وصفها بأنها من بعض عياله الذين يجب عليه إطعامهم. فتصور إذا كانت الطير من بعض عياله فكم يكون مجموع من يعولهم. وبعد هذا البيت يقول:

إن يُفْنِ ما يَحْوِي فقد أبقى به
ذِكْراً يزولُ الدهّرُ قبل زواله

وقوله من قصيدة امتدح بها أبا العشائر:

القاطع الواصل الكميلُ فلا
بعضُ جميلٍ عن بعضه شغله

يقول: إن أبا العشائر لا يشغله بعض الجميل عن فعل جميل آخر. وإنما يقطع ويصل حسبما يريد... وبعد هذا البيت يقول:

فواهب والرماح تشجره
وطاعن والهبات متصله

وكلما أمن البلاد سرى
وكلما خيف منزل نزله

وقوله من قصيدة امتدح بها أبا شجاع فاتكاً:

وقد يلقبه المجنون حاسدُه
إذا اختلطن وبعض العَقِل عُقّال

قال الرقوقي في شرح هذا البيت: في الحرب يلقبه حاسده بالمجنون حسداً له على فرط شجاعته التي تشبه الجنون. والعقل ليس في كل وقت محموداً؛ لأنه في مثل هذه الحالة يمنع من الإقدام، فيكون لصاحبه كالعقال:

وقوله مفتخراً بنسبة ومتعالياً على من يريد انتقاصه:

أنا ابن من بعضه يفوق أبا البا
حثِ والنجل بعضُ من نجله



يقول أنا الذي بعضه ـ أي ولده ـ يفوق أبا الباحث عن نسبي، أي أنا فوق أب الذي يبحث عن نسبي.

وقوله من قصيدة رثى بها والدة سيف الدولة. وامتدحه فيها بقوله:

فـإن تَـفُـقِ الأنـام وأنـت مـنـهـا
فـإن الـمـسـك بـعـض دم الـغـزال

يقول في هذا البيت: إن فضلت الناس وأنت واحد منهم فلا عجب في ذلك. فقد يفضل بعض الشيء جملته كالمسك وهو بعض دم الغزال.

أخيراً لا أملك إلا القول بأن هذه صورة تبعيضية تفنن المتنبي في صياغة عباراتها.

○○○○○



تداخل الأقوال في الصديق!!

والحديث عن الصديق يتشعب ويأخذ اتجاهات متعددة، منها ما يحكم بعدم وجود صديق صادق في صداقته. . ومنها ما يقرر وجوده ويعدد مناقبه، ومنها ما ينزع الثقة به ويبث مثالبه، ومنها ما يقف على حرف بين السالب والموجب فيما يقال عنه.

ومما يرتبط بهذه المداخلات قول أحدهم: «الواجب على العاقل أن يستعيذ بالله من صحبة من إذا ذكر الله لم يعنه، وإن نسي لم يذكره، وإن غفل حرضه على ترك الذكر». . ومن كان أصدقاؤه أشراراً كان هو شرهم. وكما أن الخيّر لا يصحب إلّا البررة كذلك الردي لا يصحب إلّا الفجرة.

ويروى أن ابنة عبد الله بن مطيع الأسود قالت لزوجها طلحة بن عبد الله بن عوف: ما رأيت أحداً قط ألأم من أصحابك. قال: مه، لا تقولي ذلك فيهم، وما رأيتم من لؤمهم؟ قالت: أمراً والله بيناً. قال: وما هو؟ قالت: إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت جانبوك. قال: ما زدت على أن وصفتيهم بمكارم الأخلاق. قالت: وما هذا من مكارم الأخلاق؟ قال: يأتوننا في حال القوة منا عليهم، ويفارقوننا في حال الضعف منا عليهم.

ويروى أن الأصمعي قال: سمعت أعرابياً يوصي ابنه فقال: ابذل المودة الصادقة تستفد إخواناً، وتتخذ أعواناً، فإن العدواة موجودة عتيدة، والصداقة منقبضة بعيدة. جنب كرامتك اللئام فإنهم إن أحسنت إليهم لم يشكروا، وإن نزلت بهم شدة لم يصبروا.



أما الشعراء فَقَلَّ أن يكون لهم رأي وسطي وتداخل في الحكم. فأكثر أشعارهم التي تعد حصيلة تجارب ونتيجة اختبارات تؤكد عدم وجود مصداقية للصداقة. من ذلك قول أبو سهل بكر بن عبد العزيز النيلي:

رجوت دهراً طويلاً في التماس أخٍ
يرعى ودادي إذا ذو خُلّة خانا

فكم ألفت وكم آخيت غير أخ
وكم تبدلت بالإخوان إخوان

فما زكى لي على الأيام ذو ثقة
ولا رعى أحد ودي ولا صانا

فقلت للنفس لما عز مطلبها
باللّه لا تألفي ما عِشت إنسانا

وفيما يقرب من هذا قال بشار بن برد:

خير إخوانك المشاركُ في المـ
ـرِّ وأين الشريك في المرّ أينا

الذي إن شهدت سرّك في الحـ
ـيِّ وإن غبت كان أذناً وعينا

مثل سرّ الياقوت إن مسه النا
ر جلاه البلاءُ فازداد زينا

أنت في معشر إذا غبت عنهم
بدّلوا كل ما يزينك شينا

○○○○○

ابن زيدون وقناعته بالمطالبة ببقية المسواك

يقول ابن زيدون واسمه: أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي المولود في قرطبة عام ٣٩٤هـ والمتوفى سنة ٤٦٣هـ في إحدى مقطوعاته البديعة الصنع والتي تفيض بالجمال اللفظي والتفنن الشعري الساحر:

أهدى إلي بقيّة مسواك
لا تظهري بخلاً بعود أراك

فلعل نفسي أن ينفس ساعة
عنها بتقبيل المُقَبِّل فاك

يا كوكباً باري سناه سناءه
تُزهى القصور به على الأفلاك

قرت وفازت بالحظير من المنى
عين تُقَلِّبُ لحظها فتراك

ولعلك أيها القارئ الكريم توافقني بعد قراءتك لتلك المقطوعة على أن ابن زيدون صانع شعر وصاحب قافية متمكنة للغاية، وأن شعره الغزلي يمضي إلى داخل مهجة من يتولى التشبيب به ويفعل بها ما يفعله سحر الساحر بالمسحور. كيف لا وهو يتمسح بأدب القناعة ويطلب بتلطف من محبوبته أن تهدي له بقية المسواك الذي لا مجال للبخل في إهدائه؛ لأنه لا يكلف ثمناً بقدر ما له عنده من قيمة تنفس عن نفسه المنشغلة بالحب ـ بل المشتعلة به ـ وتنعش به روح تهيم في التماس أي سبب يمكن من التواصل.



وابن زيدون لم يكتف في التعبير عن القناعة ببقية المسواك في القطعة الشعرية المتقدمة، وإنما نراه يعيد الكلام ويجدده في إبداء رغبته في أن تهدي إليه المسواك الذي قد استعملته ولامس شفتيها. حيث يقول متغزلاً في مقدمة قصيدة تبلغ نحواً من تسعة وثلاثين بيتاً. قيل: إنه قالها ممتدحاً بها أبو الوليد بن جهور صاحب قرطبة:

ما للمدام تديرها عيناك
فيميل في سكر الصبا عِطفاك

هلّا مزجت لعاشقيك سُلافها
ببُرود ظَلمِك أو بعذب لماك؟[1]

بل ما عليك وقد محضتُ لك الهوى
في أن أفوز بخطوة المسواك

ناهيك ظلماً أو أضرّ بيَ الصّدى
بَرْحاً ونال البُرْءَ عُودُ أَراك[2]

○○○○○

(١) الظلم: ماء الأسنان أو بريقها.. اللمى: سمرة في الشفة.

(٢) ناهيك: كلمة للتعجب والاستعظام، الصدى: العطش.. البرح: المشقة.

وعلى لسان صديقي قلت: في جاره!!

قال صديقي رحمه الله: كان لي جار لم أذق طعم الراحة منذ جاورني ـ وحينما أقول.. منذ جاورني ـ فلأني كنت ساكناً قبله بعدة سنوات.

.. أما أنني لم أذق طعم الراحة فلأن أولاده لا يكفون عن إزعاجي بلعبهم بالكرة داخل بيتهم أثناء راحتي وسط النهار، حيث تطيب القيلولة ولا يفترون عن اللعب بالمفرقعات التي أخشى أن يشب حريقاً في بيتي بسببها. ثم هم لا يتورعون عن إيذائي بقذف بيتي لحجارة من علي سطح بيته.. ولا يحترمونني حينما أمر بهم في السوق حيث أسمع منهم كلمات نابية موجهة لي.

ولما شكوت إليه حالهم وما يفعلونه بي. عمد إلى إقامة حاجز من «الزنك» من فوق ظهر الجدار الذي يفصل بين منزلي ومنزله، وجعل ارتفاعه يبلغ مستوى ارتفاع الدور الثاني من بيتي. فحجب عني الأفق. ومنع عني الهواء.. وحجته في ذلك أنه سيكف بذلك ـ الزنك ـ أذى أولاده.. قلت له: «الزنك» لا يؤدب الأولاد ما لم تؤدبهم بيدك، ولسانك، وتزع في قلوبهم معرفة حق الجار ذلك الحق الذي أوصى به نبينا محمد ﷺ.

قلت لصديقي رحمه الله: أي جار هذا الذي يدع أولاده يمعنون في امتهان حق جاره، وينغصون عليه حياته؟!! قال لي: هو ما أخبرتك به. والحقيقة أن مثل هذه المعاملة السيئة التي يتلقاها جار من جاره قد أثارت في نفسي شجوناً حركت هاجس الشعر فقلت في ذلك قصيدة طويلة. منها قولي:



هـــذا بـــنـــاه جـــاري
ولـــيـــس بـــاخـــتـــيـــاري
الأفـــــــــــــق لا أراه
حـــجـــب الـــهـــوا عـــن داري
فـــيـــا إلـــهـــي قـــوي
فـــي نـــفـــســـي اصـــطـــبـــاري
رفـــع الـــســـيـــاج رفـــعـــاً
أف لـــــه مـــــن جـــــار
«زنـــك» وأنـــابـــيـــب
كـــأنـــهـــا الـــصـــواري
تـــعـــلـــو عـــلـــى بـــنـــاء
مُـــشـــيّـــد الأدوار
مـــا راعـــى فـــيّ مـــوصٍ
أوصـــى بـــحـــق الـــجـــار
ربـــي فـــلا تـــجـــعـــلـــه
يـــزيـــد فـــي الإصـــرار

○○○○○

الأعرابي، والفأر

والهجاء ليس موقوفاً على الإنسان من الإنسان، بل هو يتعدى من الإنسان إلى غير بني جنسه فيشمل الحيوان والنبات، وكل شيء حوله.

ومثل ما أنه يهجو تلك الأشياء التي ليست من جنسه فإنه يمتدحها أيضاً وذلك وفقاً لما يصادفه منها من حالة أو من تصرف مما قد طبعت عليه من حالة لم توافق منه هوى، أو تقع من نفسه موقع الرضا، أو لم تناسب ما طبع عليه من رغبات.. فهو يمتدح جميع الأشياء التي يتعامل بها ومعها متى طابت بها نفسه، ورضىً لها.. ويهجوها إذا لم يحالفه حظ باستخدامها. فكم قرأنا من مديحٍ لقوسٍ، وبندقية، وسيف. وغيرها من أنواع الأسلحة وأدوات الصيد. وكم قرأنا من ذمٍ لها لعدم إصابتها للهدف بسبب نبوها.

وأكثر ما يكون موضعاً للهجاء والمديح من غير بني الإنسان هو الحيوان كالفرس والكلب والجمل وغير ذلك. إذ هي أقرب الأشياء إليه، ومكانتها أمكن في الحياة بحياته.

والفأر يُعدُّ واحداً من الحيوانات التي يقع عليها الذم والهجاء لأن علاقته بالإنسان ما كانت في يوم من الأيام موضع مديح إلّا في مجال نادرة أو فكاهة.

ومما جرى من هجاء للفأر ما رواه أبو أحمد العسكري عن الصولي عن محمد بن سعيد الرياشي أنه قال: دخل أعرابي البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر فقال يهجوه:

عجل رب الناس بالعقاب



لـعـامـرات الـبـيـت بـالـخـراب
كـحـل الـعـيـون وقُـص الـرقـاب[1]
مـــحـــززات أحـــبـــل الأذنـــاب
كـــيـــف لـــنـــا أنـــمـــر الإهـــاب[2]
مـنـهـرتُ الـشـدق حـديـدُ الـنـاب
كـــأنـــمـــا بُـــرْثِـــنَ بـــالـــحـــراب
يـــفـــرســـهـــا كـــالأســـد الـــوثـــاب

○ ○ ○ ○ ○

---

(١) الوقص: قصر العنق.

(٢) أنمر الإهاب: ذو جلد أرقط كجلد النمر.

العجيب في بعض أحاديث الشيب!!

والشكوى مما يعتري الجسم وسائر الأعضاء من ضعف بسبب التقدم في السن أمر طبيعي لدى المسنين.. ومصداق ذلك أنه إذا ما انعقد مجلس من مجالسهم، وأخذ الحديث مساراً حول الهزال وعجز الأعضاء عن تأدية مهماتها فإنك تسمع العجب العجاب، حيث يحصل تناوح بالشكاوى التي تفصح عن ذكر مواضع الألم الذي يصاحب عادة وبطبيعة الحال سن الشيخوخة. كما تسمع من بعضهم شيئاً من التركيز فيذكر تعطل وضائف بعض الأعضاء تعطلاً يظهرون أثناء التعبير عنه شيئاً من الأسى.

ويكاد ينحصر حديث بعض الشيب في بعض الأحيان بين ذكريات الصبا وعنفوان القوة وأيام الشباب، وبين الواقع الذي آلوا إليه. فيحلمهم الإحباط في المقارنة بين ماضيهم وحاضرهم من حيث عجزهم عن ممارسة ما كانوا يمارسونه بكل قوة وجدارة أيام شبابهم. على إطلاق عبارات التأوه والتأسف حيث أصبح الشباب لديهم كحلم لا يتكرر في أي منام من المنامات... وممن ترجم حياته في آخر أيامه وما أصابه من نكبة في بعض أعضائه مَنْ وصفه الثعالبي برئيسي نيسابور أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الميكالي، الذي قال عنه: إنه يحفظ مائة ألف بيت للمتقدمين والمحدثين يهذها في محاضراته، ويحلها في مكاتباته، وأن له شعر كتابي يشير إلى شرف قائله.

ومن شعره الذي يصلح للاستشهاد به في مجالس المسنين حينما يكون الحديث عن الشكوى من الهزال والعجز. قوله من قصيدة له:



فإنني «...» حين خان زماني
وجفاني كأنه إخواني

وثنى عني العنان غزال
كان قبل المشيب طوع عناني

يتجنّى عليّ من غير جرم
ويراني كأنه لا يراني

كيف يصبو إليّ وهو عليم
أن «...» كعطفة الصولجان؟

ليس يرجى له انتباه من النو
م ولا صبوة لذكر الغواني

كان من قبل سامعاً مستجيباً
مُسْعَداً لي فعقّني وجفاني

ولوى جيده فأصبح لدناً
يتثنى تثني الخيزراني

لا يجيب الصريخ في غسق اللّـ
ـيل ولا دعوة الوجوه الحسان

○○○○○

تأليف أدبي وتأليف تجاري!!!

ولا أقصد بالتأليف التجاري مؤلفاً يبحث في شؤون التجارة.. وإنما الذي أردته أن هناك مؤلفات تؤلف من أجل الكسب المادي الذي يستل منها روح الأدب المتوفرة في الكتاب الذي اعتبره الشاعر المتنبي خير جليس في الزمان حينما قال:

أعز مكان في الدّنا سرج سابح
وخير جليس في الزمان كتاب

إنه كتاب من الكتب التي من تآليف أدباء عصره، وما قبل عصره، حيث يجد فيها القارئ متعة الثقافة التي عبر عنها شاعر آخر بقوله:

نعم الأنيس إذا خلوت كتاب
تلهو به إن خانك الأحباب

والبحث في أمر الكتاب الذي يُقَدَّمُ للقارئ مطرزاً بعنوان ينم عما يحويه. يطول أمره ولا ينتهي وصفه.. لكنه ربما يكون مرتبطاً من حيث مستوى ما يحويه من علم وثقافة بقارئ عصره الذي ألف فيه.. فتدني مستوى ثقافة القارئ يعني انحسار بحر العلم الذي يغترف منه المؤلف، لكن هاجس الرغبة في الحصول على العلم والثقافة يوجد أدباء ومثقفين فتحصل المحافظة على التوازن بين القارئ والمؤلف.

يقول علي بن الجهم:

لو قيل لي: تملك الدنيا بأجمعها
ولا تكون أديباً تحسن الأدبا



لـقـلـت لا أبـتـغـي هـذا بـذاك ولا
أرى إلـى غـيـره مـسـتـدعـيـاً أربـا

لـجـلـسـة مـع أديـب فـي مـذاكـرة
أنفي بها الهم أو أستجلب الطربا

أشـهـى إلـيَّ مـن الـدنـيـا وزخـرفـهـا
ومـلـئـهـا فـضـة أو مـثـلـهـا ذهـبـا

هذه بعض أقوال وأحاسيس سلفنا تجاه مجالس الأدب، ومشافهة الأدباء، وقراءة الكتب ومداومة مذاكرة العلماء.. أما عصرنا الذي تغير فيه كل شيء، وأصبح عصر المادة ولا غير المادة.. فإن أجل أدبائه قد تحولوا إلى أدباء تجاريين. فهو يؤلفون تأليفاً تجارياً وعليك أن تدرك مفهوم التأليف التجاري، وكيف تكون مادته من حيث المستوى العلمي والثقافي.. والناقد المنصف الذي يريد أن يقيم مقارنة بين المؤلف القديم والمؤلف الحديث سوف لا يجد وجهاً للمقارنة بينهما من حيث جودة ذاك، ورداءة مستوى هذا. فيعمد إلى إغماد قلمه بعد أن يستشهد بقول ابن بسام:

تـعـس الـزمـان لـقـد أتـى بـعـجـاب
ومـحـا رسـوم الـظـرف والآداب

وآتـى بـكـتّـاب لـو انـبـسـطـتْ يـدي
فـيـهـم رددتـهـم إلـى الـكُـتّـاب

○ ○ ○ ○ ○

لا تتطاولوا على لغتنا العربية بالتفرنج اللغوي!!

في عصرنا هذا قلت: العناية باللغة العربية، بل عُقّتْ بسبب إدخال بعض الألفاظ والمصطلحات الأجنبية عليها. وتدنت العناية بها في كثير من الأساليب الكتابية، وكأنما نحن أو بعضنا قد رأىٰ تقصيراً في اللغة العربية. فأخذ يدس أثناء تحدثه بعض الألفاظ والكلمات الإنجليزية مثلاً، متظاهراً بذلك بأن اللغة العربية لا تنقل بوضوح ما يريد الإفصاح عنه لمستمعه.

وإن إنساناً هذا شأنه، أو تلك طريقته في المحادثة أو إلقاء المحاضرة لا يعد في نظر أبناء اللغة العربية إلّا متجنياً على لغة القرآن، ومتسلحاً بخنجر مسمومة قد صنعها له أعداء الأمة العربية، ليطعن بها اللغة العربية في ظهرها. وما علم بأن هناك الكثير من أبناء الأمة العربية قد برعوا في فهم كثير من لغات العالم. وأنهم قد أصبحوا خطباء مصقعين حينما يريدون التحدث بها. لكنهم ومع مقدرتهم الفائقة على فهم أسرار تلك اللغات يدسونها عندما يأخذون في التحدث باللغة العربية. بل هي عندهم نسياً منسياً أثناء ذلك.

وإلى اللغة العربية التي تجنّى عليها أولئك الذين يحاولون أن يتجلنزوا، أو يتألمنوا، أو يتفرنسوا بمجرد إدخال بعض الألفاظ الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية ضمن محادثاتهم أو كتاباتهم. قالت الشاعرة المعاصرة: لمياء حمد العقيل قصيدة أبدت فيها شديد أسفها على تضييع اللغة العربية من قبل أبنائها، وأظهرت الواقع الذي تعايشه اللغة في موطنها وعلى ألسنة أهلها. من تلك القصيدة قولها:



إليك يا واحة في القلب غناء
إليك يا من لك في الكون علياء

تحية لغة القرآن خالصة
من صادق الحب تهديك السويداء

إني لأكتب والإشفاق يدفعني
كي أندب اليوم ما أبلاه أبناء

ثم تمضي في استغرابه من ابتعاد بعضهم عنها، أو عدم الاعتناء بها إلى أن تقول:

بالأمس يا لغتي قد كنت منعمة
واليوم بعد نعيم بالبلا جاؤوا

تلبستهم من الرحمٰن نقمته
لا يعتليهم من الأفراح إيماء

فهؤلاء هم الأوغاد لا سلمت
منهم عقول ليعتدوا بما باءوا

إني لأدرك هذا الحال مقتنعاً
أن اللبيب لهذا الوضع مستاء

وبعد ذلك تظهر استنكارها وغضبها لما وصلت إليه حالة اللغة العربية من هبوط لدى أهلها:

وإنني غاضب مستنكر وجل
أن يهجر الناس وجهاً وهو وضاء

○ ○ ○ ○ ○

التوفيق المليح بين وصف الشجاعة والكرم في المديح

وبعض الشعراء يملك القدرة الفائقة على حشد المفردات المناسبة للموضوع الذي يتحدث عنه بلغته الشاعرة.. وتتم له السيطرة الكاملة على قرن ضروب الشجاعة بأنواع الكرم والسخاء في البيت الواحد من الشعر أحياناً فيحصل الإبداع بأسلوب حماسي تمتزج فيه قوة اللغة مع حرارة التعبير امتزاجاً يشكل نسيجاً شعرياً يهز مشاعر القارئ بأسلوبه الذي استكملت فيه الجزالة اللفظية والبلاغة الشعرية، استكمالاً لا يحتاج معه إلى مزيد من أي صورة من الصور الفنية والجمالية.. وإنك لتقف أمام شعره وكأنك ترى بأم عينك أولئك القوم الذين استرسل في مديحهم وذكر صفاتهم في ميادين الحروب ومصادقة الأعداء.. تدفعهم حِدّة الشراسة وقوة الإقدام، ومضاءة الشجاعة إلا ملاقاة أعدائهم.. ثم ينقلك بعد تصوير فروسيتهم، وشدة بأسهم إلى فضائل أخلاقهم وسماحة طباعهم وانبساط نفوسهم بالسخاء والكرم والجود. فلا تزال تنتقل بين وصف شجاعة مفرطة، وجود مسرف في الجود.

من تلك الصور الشعرية التي لا يعوزها جودة بناء، وحلاوة عبارة وطلاوة أسلوب. هذه الصورة التي رسمها أحد الشعراء القدامى وجعلها تلتهب حماساً يذكي في النفوس الشجاعة والكرم معاً:

قوم شراب سيوفهم ورماحهم
في كل معترك دم الأشراف

يتحنّنون إلى لقاء عدوهم
كتحنّن الأُلاف للألاف



ويباشرون ظُبَى السيوف بأنفس
أمضى وأقطع من ظُبَى الأسياف

ضَرِيَتْ على سفك الدماء نفوسهم
وأكفهم ضريت على الإتلاف

وعرُوا من العار المدنس مثل ما
عَرِيت مواعدهم من الإخلاف

جعلوا الطعان محللاً لوجوههم
ومحرماً منهم على الأكتاف

فإذا هم صرموا العدوّ بصارم
خضبوا الأسنة من دم الأجواف

فسيوفهم تفني نفوس عداتهم
وعطاؤهم يُغني سؤال العافي

وهذه الأبيات استحسنها أبو حيان التوحيدي إن لم تكن أطربته فأوردها في كتابه «البصائر والذخائر» جـ٢ ص٢٧.

○○○○○

مع (ابن زيدون) أندلسي
والشهال الطرابلسي في نونيتيهما!!

إن اشتياق الشيخ محمود الشهال الطرابلسي وهو أحد شعراء لبنان في القرن الثالث عشر للهجرة إلى لحن نونية ابن زيدون الأندلسي المولود عام ٣٩٤هـ والمتوفى عام٤٦٣هـ وما تمتعت به تلك القصيدة من جمال في الأسلوب وحسن في النظم وروعة في التعبير قد أفضى به إلى معارضتها، فأنشأ قصيدة قوامها ٢٦ بيتاً ماثل في كثير من أبياتها من حيث الأسلوب اللفظي أبيات نونية أبي الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي التي بلغ بها ٥٠ بيتاً كلها موقوفة على مخاطبة محبوبته ولادة بنت محمد بن عبد الرحمٰن بالملقب بالمستكفي بالله وهو أحد خلفاء الأمويين بالأندلس. المولودة عام ٣٩٤هـ والمتوفية عام ٤٨٤هـ.

والتماثل في اللفظ والقافية بين قصيدة ابن زيدون وقصيدة الشهال يرقى إلى درجة تضمين الشهال لكثير من عبارات ابن زيدون. يقول مثلاً في مطلع قصيدته. راسماً صورة الشكوى من التنائي الذي حل محل التداني:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

والشهال يقول مصوراً لا محققاً ومناقضاً لا موافقاً:

يا ما ألذ اللقاء بعد الفراق ويا
ما أنعم العيش صفوفاً في تدانينا



وغص ابن زيدون بسبب دعاء المعادين له حينما رأوه في بحبوبة الهوى، فعبر عن ذلك بقوله:

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا
بـأن نـغـص فـقـال: الـدهـر آمـيـنـا

أما الطرابلسي فإن البرق الذي يلوح له من ناحيتهم يذكره بهم فتنهمر دموعه شوقاً إليها انهماراً تغص به تراقيه:

وإن تـبـسـم بـرق مـن جـهـاتـكـم
تـغـص بـالـدم أشـواقـاً تـراقـيـنـا

وتلج بابن زيدون الذكرى التي كان قد عاشها في نعيم وترف، ثم أصبحت بالنسبة له خبراً بعد عين:

ويـا نـعـيـمـاً فـطـرنـا مـن غـضـارتـه
في وشى نعمى سحبنا ذيله حينا

أما الطرابلسي فقد حاكى هذا محاكاة عكسية في مطلع قصيدته وذلك بقوله:

آنـسـتـمـونـا وشـرفـتـم نـواحـيـنـا
من بعد هجرانكم يوم النوى حينا

وبالفقد استحالت ليالي ابن زيدون البيضاء إلى ليال سود:

حـالـت لـفـقـدكـم أيـامـنـا فـغـدت
سوداً وكـانـت بـكـم بـيـضـاً لـيـالـيـنـا

وعلى العكس من ذلك تكون أيام وليالي الطرابلسي إذ يقول:

والآن قـد أشـرقـت أيـامـنـا بـكـمُ
مـسـرةً وقـد ابـيـضـت لـيـالـيـنـا

وهكذا تتناوح أبيات النونيتين فيما يشبه التضمين في المعارضة.



ليل ابن زيدون

ما من شاعر من الشعراء إلّا وتجده قد خاطب الليل، وشكاله حاله وتذمره من طوله أو قصره.

أما بعض الشعراء فنراه قد اتخذ من الليل منبراً للبوح بما في نفسه، وجعل من نجومه وهدوئه رفيق درب يبثه أشجانه وأحزانه ويودعه أسراره، وكأنما هو عند عاقل يطلب إليه تخفيف معاناته.

والحقيقة أن الليل بطبيعته وواقع سكونه مجلبة للأحاسيس التي تلهم الشعراء الذين يمتطون ظلامه إيحاءات تعانق ضوء النهاء الذي يعقبه.

والشاعر الذي يربط خياله بخيوط الليل حينما يجن عليه ظلامه تراه ينسج في بحر غرامه وعشقه من القصائد المختلفة الاتجاهات نسيجاً يطرب القلب ببديع تعبيره وجمال أسلوبه.

وحتى نتحقق من ذلك فلا بد أن نعيش مع واحد من الشعراء الذين كان لهم مع الليل وقفات، ولكن ابن زيدون، واسمه: أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي المولود في قرطبة عام ٣٩٤هـ والمتوفى عام ٤٦٣هـ. الذي باحت قريحته بما يخالج نفسه مما يعد من فصول الغزل من أشعاره فمما قاله على قافية ـ الكاف ـ بالذات من إحدى مقطوعاته:

يــا لــيــت مــالــك عــنــدي

مــن الــهــوى لــي عــنــدك



فطال ليلك بعدي
كطول ليلي بعدك

ومن مقطوعة أخرى قوله:

يا ليل طل لا أشتهي
إلّا بوصلٍ قِصَرَكْ

لو بات عندي قمري
ما بت أرعى قمرك

وأما مقطوعة ابن زيدون التي تعشقها المغنون، فتغنوا بها وصاغوا لها الألحان المرقصة التي أطربوا بها مستمعيهم أيما إطراب، وذلك لجمال صورتها التعبيرية فهي قوله:

ودع الصبر محباً أودعك
ذائع من سره ما استودعكْ

يقرع السن على أن لم يكن
زاد في تلك الخطا إذ شيعك

يا أخا البدر سناءً وسناً
حفظ اللّه زماناً أطلعك

إن يطل بعدك ليلي فلكم
بِتُّ أشكو قِصَرَ الليل معك

○○○○○

سنة: الطبعة!!

في عام ١٢٢٥ هجرية هاج بحر الخليج العربي، وبلغ ارتفاع أمواجه المتلاطمة المرعبة حداً لم يشهد له مثيل. وقد هلك أكثر من كان في البحر من الناس آنذاك حيث تحطمت السفن الشراعية وغير الشراعية، وأغرقها الموج، فلم ينجو من ركابها إلّا النزر اليسير. واستمر في هيجانه ثلاثة أيام بلياليها.

والعامة من الناس يسمون تلك السنة التي وقعت فيها تلك الكارثة التي لم يذكر لها مثيل بـ«سنة الطبعة» بل إن بعضهم قد صار يؤرخ بها. والطبعة فيما يبدو لي أنها مأخوذة أو مستعارة من الطبع، والطبع في لسان العرب لابن منظور: هو ملؤك السقاء حتى لا مزيد فيه من شدة ملئه... وطَبَعَ الإناء والسقاء يَطْبَعُهُ طبعاً، وطَبّعَهُ تطبيعاً فَتَطَبّعَ: ملأه. وطِبْعُهُ: ملؤه. والطِّبْع بالكسر: النهر وجمعه أطباع، وتطبع النهر بالماء: فاض به من جوانبه وتدفق.

وبعض الشعراء العاميين الذين واكب إحساسهم ما مُنى به المصابون بتلك الكارثة قد ترجموا مشاعرهم وأفرغوها في قصائد وصفية أسهبوا في تصوير حاله الذين كانوا يتعاملون مع البحر كصيادي الأسماك والغواصين والمسافرين وغيرهم من التجار الذين ينقلون بضائعهم عن طريق البحار.

ولقد عثرت على قصيدة فصيحة: تناول شاعرها وهو الشيخ عبد الله بن عثمان بن جامع نزيل البصرة وأحد الناجين من تلك ـ الطبعة ـ الموضوع قصيدة له.. فبعد وصف لبدء رحلته البحرية التي كان هدفها



طلب الرزق، وكيفية استقلاله الفلك خلص إلى القول:

فلما علوت اليم في الفلك وارتمت
تسير بنا في لجة كالغياهب

أحاطت بنا الأمواج من كل وجهة
وكشرت عن أنياب أسود سالب

وأقبل ريح صرصر ثم قاصف
ترى البرق في أرجائه كالقواضب

فلما رأينا ما رأينا تطايرت
قلوب لنا نحو المليك المراقب

نعج إلى المولى بأنجا نفوسنا
ونسأله كشف الملم المواثب

فلم يك إلا كالفواق إذا بنا
ومركبنا مثل النجوم الغوارب

فأمسكت لوحاً طافياً فركبته
وصحبي صرعى بين طاف وراسب

أقمت ثلاثاً مع ثلاث بلجة
تسير بي الأمواج في كل جانب

وهذه الأبيات هي جزء من قصيدة الشاعر المذكور، وقد تضمنها كتاب «حديقة الأفراح» لأحمد الشرواني.

○ ○ ○ ○ ○

الجندي يصف اللاعب بالقط والكرة بالجرذي!!

والشاعر علي الجندي المتوفى سنة ١٣٩٣هـ كان أحد أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وقد تمكن من أخذ مكانته في عالم الشعر بحسن سبكه وجزالة لفظه، وقوة عبارته.

ولا أريد هنا استعراض ما لشاعريته من مكانة بقدر ما أريده من وقفة على قصيدة له عنوانها «الكرة» والتي منها قوله:

كل لها مترقب متربص
كالقط يرصد سانح الجرذان

ولا أدري كيف إن الشاعر علي الجندي اختار هذا التشبيه للاعب الكرة أهو أراد بذلك الدخول به من باب المداعبة؟!! أم أنه لم يجد ما يشبه به اللاعب المتوثب لتلقي الكرة غير هذا التشبيه.

وواقع حال الجندي كشاعر مقتدر يكون له المفر عن هذا التشبيه، وذلك كأن يقول: «كالذئب يرصد سارح الحملان» لصح له التشبيه، وارتفع بالمشبه عن المشبه به من حيث المستوى الطبعي المتمثل في مطاردة الفئران.

والحقيقة أن هذا البيت قد جاء شاذاً في مستواه الأدبي عن بقية أبيات القصيدة لكن لعله وكما أسلفت أراد به المداعبة، وإلّا ليس بينه وبين ما قبله وما بعده من مقارنة من حيث المستوى الأدبي في الصياغة الوصفية والتشبيهية أسمعه وهو يصف المتغالبين على قذف الكرة:

كل يغالب قرنه فكأنما
أسدان في الهيجاء يصطرعان



إن الفرق شاسع جداً في اختيار ذكر المشبه به في هذا البيت وما جاء في البيت الآنف الذكر. أما القصيدة فهي في مجملها وصف لحركة اللاعبين في ميدان اللعب، وإشارة إلى أن لعب الكرة يقوي الجسم وينشطه، وذلك بقوله:

يتنازعون الفوز فيما بينهم
وقلوبهم خلو من الأضغان

يا حبذا تلك الملاعب إنها
للعرب تنبت نخبة الفتيان

كم من رجال أخرجتهم للورى
عمروا الحياة بقوة الأبدان

ربوا الجسوم على الكفاح فإنما
أس السعادة بسطة الجسمان

إن صحت الأجسام اطلعت النهى
ثمر المعارف يانعاً للجاني

وقد نظر إلى الحكمة التي تقول: «العقل السليم في الجسم السليم» فقال:

ما العقل إلّا في السليم فمن يكن
ذا علة لم يحظ بالعرفان

○○○○○



الشاعر وقِدْرِه.. قبل زواجه وبعده!!

من النساء من لا تكون ذات فأل حسن لزوجها، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن سعد بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا هامة ولا عدوى ولا طيرة، وإن تكون الطيرة في شيء ففي الفرس والمرأة والدار» وفي حديث آخر عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الشؤم في الدار والمرأة والفرس».

والذين كانت زوجاتهم شؤماً عليهم، ولم يكنَّ من النواصي المباركة، نراهم يجهدون أنفسهم في التعبير عن خيبة آمالهم وانتكاس فألهم.. والعامة من الناس لهم نفثات شعرية ونثرية في هذا المجال، منها أن أحدهم تزوج فساءت حاله بعد زواجه وتراكمت عليه الديون والمشكلات، فطلق زوجته، وناجى قدره وهو في مطبخه:

حَـــيّ قِـــديْـــري واعْـــمـــرهْ
حَـــيّـــه يـــا بـــعـــد الـــمـــرهْ

ومنها أن أحدهم تزوج فتحولت حاله من غنى كان يعيش فيه إلى فقر مدقع ومعاناة دهر موجع. فقال في يوم كان هو وامرأته يغرفان من القدر ويأكلان: ما أسعدنا يوم كنا اثنين. قالت له زوجته: وما نحن الآن إلا اثنان، فهل معنا ثلاث؟. قال: السعادة يوم كان القدر هو الثاني لي، أم اليوم فنحن ثلاثة. أنت وأنا والقدر ثالثنا.

ومنها أن أحدهم تطاولت عليه زوجته برفع الصوت وسلاطة اللسان، فركب ذلوله ومضى مسافراً، وفي طريقه ورد ماء فشرب منه ثم



تولى إلى الظل ليستريح. وفي تلك الأثناء جاء رجل مشتاقاً لرويته ذلوله، فلما اقترب منها رغت رغاء شديداً وكان من عادتها أنه إذا اقترب منها أحد أخذت في الرغاء، وهذا يُعدُّ عيباً شديداً في الناقة الذلول. فقال ذلك الرجل:

رَغّايَة الأنضا ودَعّايَة النساء

ترى أبرك الأياك يومٍ يزيلها

ولما سمع صاحبها هذا البيت قفل راجعاً إلى بلده، ولما وصل طلق زوجته وباع ذلوله عملاً بما سمعه، فما لبث أن تزوج امرأة جميلة ودوداً، وابتاع ناقة كريمة.

وتزوج السيد عباس بن علي الموسوي صاحب كتاب «نزهة الجليس» فآلت حالته إلى بؤس ومعاناة فقر فكتب رسالة شعرية إلى الشيخ عمر بن حسن المدعون يشكو فيها حاله بعد زواجه استهلها بقوله:

بلغ سراج الدولة القاموسا

لا زال بالخير لنا قابوسا

وقل له: إن المحبّ قد غدا

في اليوم هذا يتشكى البؤسا

من جور هذا الخائن الدهر الذي

لم يبق لي يا صاحبي ناموسا

وكيف لا أشكو من الدهر وذا

كيسي حكى فؤاد أم موسى

قد كنت فرداً آمناً منعماً

ومن معاناة النساء محروسا



لما تزوجت رأيت الهم قد
أتى لنا مبرطماً عبوسا

وصارماً بيني وبين راحتي
حرب حكى صفين والبسوسا

جزاء من يبغي الزواج يا فتى
أن يحلقوا لحيته بالموسى

والقصيدة طويلة: وقد ذكرها صاحب كتاب «حديقة الأفراح لإزاحة الأتراح». أحمد بن محمد الشرواني.

○○○○○

الصديق الصدوق أعز مفقود وأغلى مطلوب!!

وطالب الصديق الصدوق قل أن يظفر به، وإن وجده فإنه في حالة فقده يعد أعز مفقود.. وعلى هذا فإن شروط الصداقة يندر وجود المتكيف معها والعامل بمقتضياتها.

وواقع حال الصداقة يترجم لنا أن مَدّ يد الصداقة وتلقيها بحرارة لا يعني أن ذلك عربوناً لصداقة ستنعقد انعقاداً وثيقاً، وستقوم قياماً صادقاً بين المتصافحين والسبب في ذلك يعود إلى أن وراء كل يد تلقت الأخرى قلب يتقلب. وأن تثبيت ما كان يتقلب يحتاج إلى تقعيد وترسية، إذ إن الكلام الذي يلفظه اللسان أثناء المصافحة ليس دليلاً قاطعاً، ولا مترجماً حقيقياً لصدق الرغبة في توطيد صداقة صادقة تبتعد بمفهومها عن المنفعة التي تحمل بعضهم على أن يكون صديقاً صورياً لمن له إليه حاجة ذات منفعة.. والذي له خبرة بهذه الحركات التمويهية يكاد يجزم بأنه سوف لا يحصل على واحد في الألف ممن يمدون يد الصداقة، ويبالغون في وصف رغبتهم إليها.

ولو غالط أحد نفسه بوجود صديق يصدق في صداقته وراح يبحث عنه فلربما نفد عمره وهو ما زال في البحث عنه.

وفيما يتعلق بصفة البحث عن الصديق يقول أبو المظفر البلخي:

قال الحكيم الفارسـ ... ـي بزر جمهر ثم مَزْدك

لا ترضين من الصديـ ... ـق بكيف أنت ومرحباً بك



حـــتـــى تـــجـــرب مـــا لـــديـــ
ـه لـــحـــاجـــة إمـــا بـــدت لـــك

فـــإن وجـــدت فـــعـــالـــه
كـــمـــقـــالـــه فـــبـــه تـــمـــســـك

أما بشار بن برد فيعتب على صديقه الذي وصفه بالتذبذب أو قل بالتلون، ويؤكد أن استدامة الصداقة شيء غير ممكن، وذلك في مقطوعة له تضمنها ديوانه بهذا النص:

أراك الـيـومَ لـي وغـداً لـغـيـري
وبـعـد غـدٍ لـذي قُـربٍ إلـيـكـا

إذا آخـيـت ذا فـارقـت هـذا
كـأن فـراقـه حـتـمـاً عـلـيـكـا

فـأقـدمُـهـمُ أخـسُّـهُـمُ جـمـيـعـاً
وأحـدثـهـم أحَـبَّـهُـمُ إلـيـكـا

وكُـلّـهُـمُ وإن طـرمـذت فـيـهـم
سـتـتـركُـهُ وشـيـكـاً مـن يـد يـكـا

○○○○○

ذكرى الماضي المعنبر بسذاجة الطفولة وبراءتها!!

وإذا ما بلغت الأعمار حد الإدراك بكل مفاهيمه المرتبطة بخدمة النفس ووقايتها.. واكتملت صورة الحسن بمعانيه المحسوسة والملموسة.. واستتم الجمال النفسي الذي يدرك بالقلب والأذن والعين معاً.. وأيقظ العشق بجميع معانيه وأساليبه وصفاته حساً في قلوب كانت نائمة في سني الطفولة. رجعت الذكرى بكل من كانا متعايشين في صغرهما، وذهبت بهما الأماني مذهبها، وحرك الوجد في نفسيهما ما كان ساكناً.. وأصبح التناوح على البعد بديلاً عما كانت عليه المشافهة على القرب.. ولم يعد كل منهما يملك زمام الأمر إلّا بقوله: «أيام كنا، وكنا...».

وإذا ما انقطع الأمل في اللقاء، وبات من المستحيل الالتقاء، وكان الطرف الأكثر تولهاً واشتياقاً من الشعراء، فإن الإبداع في القول يجد إلى مخيلته سبيلاً فيبث ما في نفسه من ذكريات في قصائد تذوب كلماتها الغزلية رقة ووجداً وتلتهب عباراتها شوقاً وحنيناً وتولهاً.. خاصة إذا كان هناك ماضٍ معنبر بسذاجة الطفولة ومفعم ببراءتها.

والتعبير الشعري عن الماضي وما فيه من جميل الذكريات، يكون له حلاوة وطلاوة خاصة إذا موسق أنغام ذكراه شاعر يتميز شعره بالرقة والعذوبة كالشاعر محمد عبد الله الشبراوي المصري، الذي أخذ في إحدى قصائده يذكر محبوباً له يوم كان في ملاعب الطفولة وأيام الصبا يتناغى وإيّاه، منها قوله:

واحفظ قديم العهد إذ
شملي وشملك في التئامْ



أيـــام تـــأتـــيـــنـــي وأنـــــ
ـت قـريـب عـهـد بـالـفـطـام
أيـــام تـــأتـــيـــنـــي وتـــكـــتـــــ
ـسـب الـفـضـائـل بـاهـتـمـام
أيـــام ســـعـــدي مـــقـــبـــل
وكـمـال حـظـي فـي انـتـظـام
أيـــام لا لـــومـــاً أخـــا
ف ولا عـــتـــاب ولا احـــتـــشـــام
أيـــام تـــرفـــل فـــي شـــبـــا
بـــك لا قـــنـــاع ولا لـــثـــام
وعـــلـــيـــك مـــن حـــلـــل الـــمـــهـــا
بـــة حـــلـــة الـــبـــدر الـــتـــمـــام
لـــهـــفـــي عـــلـــى ذاك الـــزمـــا
ن وصـــفـــوه لـــو كـــان دام

والقصيدة طويلة فهي تبلغ ٢٩ بيتاً وقد ضمها كتاب «حديقة الأفراح لإزاحة الأتراح» لأحمد بن محمد الأنصاري اليمني الشرواني.

○ ○ ○ ○ ○

فعل الفقر والغنى بصاحبيهما!!

إن إجراء معادلة بين الفقر والغنى وصاحب كل منهما تحقق واقعاً تترجمه الحياة وترسمه يد الأيام في لوحة تدعو إلى التأمل فيما بين حياتهما من بعد شاسع وفرق لا يخضع في كثير من المواقف للقياس.

والناس بطبيعتهم يمثلون أداة لأي معادلة تُجرى بين الغني والفقير. فهم ينظرون للغني بعين التقدير، ويظهرون له ما يستطيعون على اصطناعه من مظاهر الحب والتقدير.

.. أما الفقير فعليه من أعين الناس ونظراتهم إليه دليل يحمل كل الازدراء، بل يترجم بصادق الإشارة والعبارة، احتقاره والتنقيص من قيمته. ومن اعتباره بالتلميح حيناً وبالتصريح أحياناً.

.. وقد تختلف نظرة الشعوب بصفة عامة إلى الفقير إذ إنه منها ما يستمد العطف عليه والترفق به، ومَدّ يد المساعدة إليه وفقاً لتعاليم دينها وعقيدتها. وذلك كالشعوب الإسلامية التي يحثها الإسلام على التكافل فيما بينها.

ومنها ما ينظر إلى الفقير بعين الإنسانية فقط فيبادر من باب ذلك إلى معاونة الفقير وإسعاده.

.. ومنها ما يظهر احتقاره وينظر إليه نظره إلى الكلب.

ووفقاً لواقع هذا التباين، يختلف الناس في النظر إلى موقع الإنسان من الحياة وبين ظهراني مجتمعه بحسب غناه وفقره، لا بحسب دينه وعلمه وأدبه وحسبه، خاصة في عصرنا هذا الذي أصبحت المادة



في أعين الناس هي كل شيء. فصارت قيمة الشخص مرهونة بمستواه المادي، ولا شيء غيره.

ولقد نقل الشاعر: مامية ابن أحمد الرومي هذه الصورة، بل هذه الظاهرة التي تشاهدها في قصيدة أخذ مكانها في سجل أمثال الحكمة. منها قوله:

لقد قلّني بالفقر خلي وصاحبي
وإن جئت أشكو ما أقاسيه صاح بي

كل فتى قاسى من الدهر فاقة
يصير غريباً وهو بين الأقارب

وكل غريب وهو ينسب للغنى
تعود له كالأهل كل الأجانب

فما المال إلا في الملا زينة الفتى
وما الفقر إلّا من أمر المصائب

وما العكس للإنسان إلّا مشقة
وما السعد إلّا من أجل المواهب

وكم عالم في الناس يحتاج درهماً
وكم جاهل قد جاز جاه المناصب

وكم سيد قد حط بالفقر قدره
وكم من دنيّ ساد فوق المراتب

ولو أن للآداب حظاً وقسمة
لزاحمت أرباب العلى بالمناكب

أخيراً تبقى الإشارة إلى أن هذه الأبيات قد حواها كتاب «حديقة الأفراح» لأحمد الشرواني.



العشق تختلف فعاليته والبوح به من شخص إلى آخر!!

والحديث عن العشق والعشاق، قد زخرت به دواوين الشعر وكتب التراث، إذْ أن العشق ليس بجديد على بني الإنسان، فهو قديم، ومتصل في قدمه بابني آدم عليه السلام ـ قابيل، وهابيل ـ.

والعشق إحساس تحركه في النفس دوافع يعود سببها إلى ما يمتلكه المعشوق من جاذبية يرتبط بها كل من تنجذب إليها نفسه، فيأخذ في مكابدة معاناته ويكتوى بنار عذابه من لحظة الإحساس به.

وتقدير درجة حرارة العشق تختلف من شخص عاشق إلى آخر. وقد يكون اختلاف درجة حرارتها خاضعاً لحالة المعشوقة، ولهذا فإن العشق بصفة عامة يخالج النفس ويغزو القلب غزواً يوصف صاحبه بالعاشق الهائم.

ولأن الناس ليسوا على درجة واحدة من التحمل، ومن التفكير، ومن الإرادة، ومن التعامل مع مؤثرات العشق. فإن هناك فئات متباينة من حيث كيفية التعامل مع العشق، قد لا يصعب تصنيفها على ذوي النباهة والملاحظة.

أما أساليب التعبير عن العشق فتخضع إما لمدى تأثير العشق على نفس العاشق، أو للمقدرة الكلامية على نقل تأثيره خارج النفس بلسان ناثر أو شاعر.

ولهذا تقوم فروق واضحة بين شعراء الغزل.. والحكم على أقوال كل شاعر لا يأتي موافقاً لحالته تماماً إذ إن منهم من يصطحب الخيال، ويمضي مع التخيل، وهو أبعد ما يكون بحاله وواقعه مما يتخيله ويُعْمِلُ



فيه لسان شعره.. ومن العشاق من له منهج متميز في التعبير عن العشق، إذ يرى أنه الأنموذج الوحيد في عالم العشق، وأنه ليس كمثله عاشق من الناس.

ومن يزعم أنه الوحيد في عشقه الشاعر شهاب الدين الموسوي الحويزي، إذ يقول في إحدى قصائده الغزلية التي أبدع في التعبير فيها أيما إبداع:

أما والهوى لولا الجفون السواحر
لما علقت في الحب منا الخواطر

ولولا العيون الناعسات لما رعت
نجوم الدجى منا العيون السواهر

وإنا أناس دين ذي العشق عندنا
إذ لم يمت فيه قضى وهو كافر

ولم يرضنا في الحب شق جيوبنا
إذ نحن لم تنشق منا المرائر

نعد العذارى من دواهي زماننا
وأقتلها أحداقها والمحاجر

ونشكو إليها دائرات صروفه
وأعظمها أطواقها والأساور

لنا قدرة في دفع كل ملمة
تلم بنا إلّا النوى والتهاجر

وليس لنا لدغ الأفاعي بضائر
إذ لم تظافرنا عليها الضفائر

○○○○○

أسد بيشة، ورحى المعيشة!!

ينظر بعض الشعراء حينما يشرع في بناء بعض قصائده إلى أقوال بعضهم. فتأتي قصائده متصفة من الناحية الفنية بما يعرف بفن المعارضة الشعرية.

والحقيقة أن مثل هذه الصور التي تأتي متناظرة ومتقابلة تعطي المجال في القول بأنه لا يكاد يحصل اختلاف بين الناظر والمنظور إليه في بعض الحالات.. حتى إن الدارس ليشك في أن الأخير قد سرق أو بلهجة أخف قد أخذ ممن سبقه، وهو المنظور إليه. حيث يكون تطابق تام في السياق والمعنى، وفي القافية والعبارة.

والذي يقرأ دواوين الشعر وكتب التراث ويرصد مثل هذه الأمور يتكشف له الكثير من تلك الصور.. وبعض النقاد يرد ذلك إلى توارد الخواطر، وتوافق الأسلوب، وتناسب الذوق في اختيار العبارة وتشابه اللسان في التعبير. ويبتعد بالصورة عن مجال المعارضة، أو الاقتباس، أو السرقة.

أما بعضهم ـ والمعنى بذلك النقاد ـ فيجعل المتأخر سارقاً والمتقدم مسروقاً. وإن أراد تخفيف الحكم، وصف المتأخر بالمعارض.

ولقد عثر على الكثير من تلك الصور، والتي أكتفي منها بذكر بعض مما قاله الحريري من شعر في إحدى مقاماته وسايره من اللفظ والتعبير بصورة مضادة للمعنى. الشاعر محمد المجتهد الشامي.

فالحريري يقول في مقامته المعنونة بـ«المقامة الحرامية»:



عـش بـالـخـداع فـأنـت فـي
دهـر بـنـوه كـأسـد بـيـشـهْ

وأدر قـنـاة الـمـكـر حـتـ
ـى تـسـتـديـر رحـى الـمـعـيـشـه

وصِـد الـنّـسُـور فـإن تـعـذ
ر صـيـدُهـا فـاقـنـع بـريـشـه

واجـن الـثـمـار فـإن تـفُـتْـ
ـك فَـرَضّ نـفـسـك بـالـحـشـيـشـه

أما الشاعر محمد المجتهد فيقول:

كـيـف الـخـداع ودهـرنـا
أبـنـاه صـاروا أسـد بـيـشـهْ

وقـنـاة مـكـري لا تـدو
ر فـتـسـتـديـر رحـى الـمـعـيـشـه

والـطـيـر فـي أفـق الـسـمـا
ء فـكـيـف أبـلـغ مـنـه ريـشـه

وريـاض آمـالـي جـفـا
هـا الـخـصـب حـتـى لا حـشـيـشـه

ويتضح لك أيها القارئ العزيز أن الشاعر المجتهد قد اجتهد فأصاب هدف المضادة.

الشبراوي يتلهف ثم يتعفف!!!

يتأرجح بعض شعراء الغزل في أقواله في كثير من الأحيان، فلا يكاد يثبت على قاعدة معينة أو على خط مستقيم يجعل من التشبيب آداة تقطعه أو مطية تجتازه..

فتراه يصر على طمعه في تحقيق مآربه ونيل مطلبه ممن أخذ في التغزل به.. ويظهر خضوعاً وتذللاً يكون فيه أشبه ما يكون بالسائل الفقير أمام الغني المتكبر. حيث قد استقر في ذهنه أنه لن يحصل على شيء مما أراده إلّا الإلحاف في السؤال المزخرف بأساليب المديح.

وهذا النوع من الشعراء كصاحب الصنعة الذي يلح في طلب قيمة ما صنعه.

ومن الشعراء نوع يعرض مسألته بنفس تأبى أن تذل لشهوة كلامية. فتراه يجهد في الوصف ويهذب أساليب تغزله، فيصور الجمال في أبلغ صورة وبأرق ألفاظه، ونفسه خالية من مقومات التلهف الحقيقي الذي تكون ثمرة صدقه عند غيره ناراً تتأجج في الصدور وتحرق القلب، وتسلب الجسم صحته حتى تتركه نحيلاً تتناهب أحشاءه الأوهام، والتصورات التي ترد إليه حينما يتكئ على الخيال ويمد بصره فلا يرى إلّا السراب في الآل.

لكن من الشعراء من يجمع بين هذا وذاك، فتراه يظهر في القصيدة الواحدة التلهف ويجتهد في شرح أسباب التوله. ثم ينعطف بالكلام ما كان يزخرفه من أوصاف وتشبهات غزلية إلى إظهار التعفف وسلامة القصد والنية.



ولعل من أمهر من أخذ بالجمع بين هذين الأسلوبين الشاعر عبد الله بن محمد الشبراوي المصري. حيث أظهر تلهفه وتعففه في إحدى قصائده، وذلك بقوله:

إن لي حاجة إليك فحققي
حسن ظني فإنها منك سهله

قبلة أجتني بها ورد خديـ
ـك وأشفي بها الفؤاد المولّه

جد بها كلما أراك وإلا
أكتفي منك كل شهر بقبله

واتخذها عندي يداً وجميلاً
سيما إن سمحت من غير مهله

واغتنم يا مليح أجري فإني
صرت بين الورى بحبك مثله

وبقوله في تعففه في نفس القصيدة:

أنا أهواك يا مليح ولكن
يعلم اللّه أنه لا لعله

أنا عف الضمير تأنف نفسي
في الهوى كل خصلة تغضب اللّه

سل ولاة الغرام عنّي وعن عفـ
ـة نفسي فتلك فيّ جبله

○ ○ ○ ○ ○



قصيدة من قصيدتين!!

أوحت طبيعة الربيع ونشر عطر أزهار نباتاته إلى الشاعر الأديب علي بن محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن المهدي بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد الحسيني الصنعاني المولود سنة ١٢٦٣هـ والمتوفى بصنعاء سنة ١٣١٦هـ فنظم أبياتاً وصفية جميلة حينما رأى الزهر والخضرة. وهو في نزهة في بئر العزب المعروف بصنعاء مع صديقه القاضي محمد بن عبد الملك بن حسين الآنسي الصنعاني المولود عام ١٢٧٣هـ بصنعاء والمتوفى بصنعاء سنة ١٣١٦هـ.

من تلك الأبيات قوله:

جلى فصلى الربيع الأرض نوراً
من الأزهار يزرى بالشموس

ترى الغصن الرطيب وقد تثنى
بأنواع الملابس كالعروس

وقد شك العصائب من درار
منضدة على خضر اللبوس

به الأطيار قد طربت وغنت
بأحسن ما يلذ على النفوس

وبعد مدة خرج وصديقه القاضي محمد بن عبد الملك الآنس إلى تلك النزهة وذلك في فصل الربيع حيث خالط الزهر فيها الخضرة،



وتمازجت ألوان الأزهار فتداخل أحمرها مع أبيضها، فأوحت له بأبيات وصفية جعلها تتخلل أبيات صديقه علي بن محسن لتكون معها قصيدة واحدة، متسقة، ومتوازنة في الأسلوب والبناء والمعنى فكانت على النحو التالي. وقد أشير إلى أبيات على المتقدمة بعلامة «ع» وإلى أبيات القاضي محمد بعلامة «م»:

ع ـ جلى فصل الربيع الأرض نوراً
من الأزهار يزرى بالشموس

م ـ ففكر في رياض الزهر وانظر
إلى صنع المهيمن في الغروس

ع ـ ترى الغصن الرطيب وقد تثنى
بأنواع الملابس كالعروس

م ـ وتوج رأسه زهواً بماس
ولبس التاج من شأن الرؤوس

ع ـ وقد شك العصائب من درار
منضدة على خضر اللبوس

م ـ وفصلها بمهرام ومرجا
ن زهر بين هاتيك السلوس

ع ـ به الأطيار قد طربت وغنت
بأحسن ما يلذ على النفوس

م ـ ومن أرجائه قد فاح عطر
لديه كل ذي عرف تنوسي

ولولا أن هناك توثيقاً جاء في كتاب «أئمة اليمن» بأنها للشاعرين الآنفي الذكر لما كان هناك أدنى شك بأن شاعرها واحد.



الشلشلة. والسلسلة. والبلبلة. والقلقلة في الشعر!!

والمنطلق الذي يمكن أن ندخل منه إلى هذا الموضوع هو قراءة أبيات من قصيدة للمتنبي قوامها ١٤ بيتاً بالغ في امتداح نفسه بها. وهي من القصائد التي قيل: إنه قالها في صباه، وقد استهلها بقوله:

قفا تريا ودْقي فهاتا المخايل
ولا تخشيا خُلْفاً لما أنا قائل

رماني خساس الناس من صائب أسته
وآخَرَ قطن من يديه الجنادل

ومنها قوله:

تُحقَّرُ عندي همّتي كل مطلب
ويقصر في عيني المدى المتطاول

وما زلت طوداً لا تزولُ مناكبي
إلى أن بدتْ للضيم فيّ زلازل

فقلقلتُ بالهم الذي قلقل الحشا
قلاقل عيسى كلهن قلاقل

وهذا البيت الأخير هو بيت القصيد كما يقولون. وهو الذي وقف عنده النقاد وقفات طويلة قتله فيها بالدرس والتحقيق، وذلك بسبب ما فيه من القلقلات. واختلفوا فيما بينهم من حيث تصويب المتنبي وتخطئته في نظمه لتلك القافات.. قال الصاحب بن عباد وقد عاب المتنبي بهذا البيت: ما له قلقل الله أحشاءه وهذه القافات الباردة.. أما



الواحدي فقد قال: لا يلزمه في هذا عيب فقد جرت عادة الشعراء بمثله أي أنه قد سبقه إلى ما يشبه ذلك شعراء قدامى ولم يعب عليهم.

أما الثعالبي فقد روى أن أبا نصر المرزباني قال له: ثلاثة من رؤساء الشعراء: شلشل أحدهم وسلسل الثاني. وقلقل الثالث.. أما الذي شلشل فالأعشى وهو من شعراء الجاهلية حيث قال:

وقد غدوت إلى الحانوت يتتبعني
شاوٍ مشل شلول شلشل شول

والشاوي: الذي شوى. والمشل: المطرد. والشلول: الخفيف، والشلش: الخفيف القليل وكذلك الشول. قال: والألفاظ متقاربة أريد بذكرها والجمع بينها: المبالغة..

أما الذي سلسل فمسلم بن الوليد إذ يقول:

سُلّتْ وسَلّتْ ثم سَلْ سَليلها
فأتى سليلُ سليلِها مسلولا

وأما الذي قلقل فهو المتنبي الذي يقول: البيت ـ قال الثعالبي ثم قال لي فبلبل أنت أيضاً فقلت: أخشى أن أكون رابع الشعراء الذي يستحق الصفع.

قال الثعالبي: ثم قلت بعد حين من الدهر:

وإذا البلابل أفصحتْ بلغاتها
فأنف البلابلَ باحتساء بلابلِ

قال الثعالبي: وفي هذا ما يبطل إنكار ابن عباد على أبي الطيب المتنبي.

قلت: ولو لم تكن هذه الشلشلات، والسلسلات والبلبلات والقلقلات موضع اهتمام لما دار حولها هذا الكلام.



الحيرة بين السماع والرؤية!!

من المسلم به أنه لا خلاف على أن العين تعشق، وأن الأذن تعشق أيضاً.. لكن الخلاف في أيهما يكون أشد تأثيراً على قلب العاشق بالذات. إذ إن بعض وجهات النظر تقرر بأن الأذن تنقل إلى القلب صورة صاحب الصوت فتتمثل في أجمل هيئة يتصورها غير المبصر، فيوحي قلبه بهذا الواقع إلى لسانه فيجدّ في البوح بالتغزل بما سمعته أذنه.. أما العين فلا تكذب صاحبها لأنها بطبيعتها وبما لها من خصوصية متميزة تربطها بسائر أعضاء الجسم فضلاً عن القلب الذي يعشق ما تراه العين، ويؤسس قاعدة عشقية ترتكز على حقيقة مرئية ليس للتصور فيها مجال، ولا للتخمين فيها مسلك.

والوقوع في الحيرة بين ما تسمعه الأذن وتراه العين ليس بمستبعد لدى كثير من الناس المبصرين. أما بالنسبة للعمي فإنه ليس من وسيلة تمثل النافذة التي يتسرب منها العشق إلى قلوبهم سوى الأذن.

ومن الناس من تكون أذنه وعينه سواء بالنسبة لدواعي عشقه.. وهذا كثيراً ما يقع في حيرة من أمر عشقه بين الرؤية والسماع.

ومن أولئك الذين تساوت لديهم شفافية الرؤية، ورهافة السمع أبو المظفر الهندي الذي تحدث عن ذلك في مقامته العشرين، وترجمه شعراً بقوله:

رأيت ظبياً، وظبيا قد سمعت به
كلاهما كقضيب البان والأسل

الشمس تعجز عن إدراك حسنهما
والبدر قد أدركته حمرة الخجل



حاز اللطافة من فرع إلى قدم
هذا وذاك كهذا يا أخا النبل

فصرت في حيرة مما أكابده
أصبو لأيهما يا قلة الحيل

فأنشدتني لسان الحال ناصحة
بيتاً بديعاً له التقديم في المثل

«خذ ما رأيت ودع شيئاً سمت به
في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل»

والبيت الذي ضمنه المظفر متمثلاً به، هو لشاعر الحكمة ـ المتنبي ـ خذ ما رأيت... إلخ وهو من قصيدة امتدح بها سيف الدولة في شعبان سنة ٣٤١هـ وضمنها اعتذاره بقوله عندما سأله سيف الدولة عن حاله: رأيت الموت عندك أحب إليّ من الحياة عند غيرك. فقال له: بل يطيل الله عمرك. وأجزل له العطاء ومن أبيات تلك القصيدة قوله:

وما صبابة مشتاق على أمل
من اللقاء كمشتاق بلا أمل

وبعد هذا البيت ببيت واحد يقول:

والهجر أقتل لي مما أراقبه
أنا الغريق فما خوفي من البلل

○○○○○

ما هو السر في تشابه مرض العيون في بعض البلدان المتباعدة؟!!

والإجابة على السؤال المتمثل في العنوان الآنف الذكر، تأتي ضمن بعض التقارير الطبية في غالب الأحيان، لأن الطبيب إذا كان متنقلاً بين بلدين يتشابه سكانهما بصفة عامة، أو أمراض عيونهم بصفة خاصة هو الذي يلقي بظلال الإجابة على هذا السؤال الذي كان الباعث على صياغته ما صرح به رئيس قسم الجلوكوما بمستشفى الملك خالد للعيون بالرياض الدكتور: ديفد ديوكر.. بأن العديد من أمراض العيون في المملكة مألوفة لي، وذلك من واقع عملي في الولايات المتحدة الأمريكية. فعلى سبيل المثال: فإن السائد الماء الأبيض؛ يعتبر من الأمراض الشائعة في الولايات المتحدة، وهو أيضاً إحدى المشكلات المرضية الموجودة بالمملكة العربية السعودية. ثم إن أمراض السكر التي تؤثر على العين، هي أيضاً من الأمراض الشائعة في الولايات المتحدة، وأوروبا. كما أنها شائعة هنا في المملكة العربية السعودية. وهناك بعض الأمراض الأكثر شيوعاً هنا منها في الولايات المتحدة الأمريكية وتلك تتضمن الأمراض التي تؤثر على الأطفال مثل، الجلوكوما الخلقية، وأورام الجذيعات الشبكية، وكلاهما أكثر شيوعاً مما صادفته من خلال خبرتي العلمية بالولايات المتحدة الأمريكية. وتبدو بعض الأمراض الشائعة هنا في المملكة راجعة لتعرض الأفراد للعوامل المهيجة للعين، والجفاف وأشعة الشمس الشديدة. إضافة إلى ذلك فهناك نوع من الضمور في أنسجة القرنية، ويبدو أن تلك مشكلة أكثر شيوعاً هنا، وتلك نتيجة لهذه العوامل.



ولعلنا نلاحظ من هذا التصريح بأن هناك تشابهاً بيئياً يحدد مرض العيون ونوعيته بحسب جغرافية مناخية تصاحبها حالة معيشية تحرك نشاطه في العين وتقوي فاعليته. بل ربما يكون نشاطه مرتبطاً بخطوط الطول والعرض للكرة الأرضية وحركة دورانها، إن لم يكن للمستوى المعيشي والصحي سبب في ذلك التوافق..

ولندع الحديث العلمي عن العيون لنأخذ بطرف مما يخصها من الجانب الأدبي منه، وليكن ذلك من الشعر الغزلي مثلاً. فمن ذلك قول ذي الرمة:

وعينان قال اللّه كونا فكانتا
فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

وقول أبي فراس الحمداني:

وبيض بألحاظ العيون كأنما
هززن سيوفاً أو سللن خناجرا

تصيدن لي يوماً بمنعرج اللوى
فغادرن قلبي بالتصبر غادرا

وقول أبي هلال العسكري:

أصبحت أعشق من وجهٍ ومن بدن
ما يعشق الناس من عين ومن شعر

وقول أبي الطيب المتنبي:

وربما قالت العيون وقد
يصدق فيها ويكذب الخبر

وليكن ختام هذا الموضوع قول العباس بن الأحنف:



يا أيها الرجل المعذب نفسه
اقصر فإن شفاءك الإقصار

نزف البكاء دموع عينك فاستعر
عيناً يعينك دمعها المدرار

من ذا يعيرك عينه تبكي بها
أرأيت عيناً للبكاء تعار؟

○ ○ ○ ○ ○

ما يعني ربط.. شيء بـ ـ كل ـ؟!!

كثيراً ما يربط المتحدث أو الشاعر لفظه ـ شيء ـ بلفظة ـ كل ـ خاصة إذا أراد أي منهما أن يعمم تعميماً غير مقيد، ولا موقوف على نوع معين تميزه ذاته وهيئه.. أو شكل من الأشكال التي تعرف بأسمائها.

ومثل هذا التعميم الذي يخص به الإنسان نفسه لا شك أنه يشكل مأخذاً عليه؛ لأن إطلاق عبارة ـ كل شيء ـ تعني أنه يصنع نفسه موضع الملم بجيمع ما يمكن أن تدركه عقول البشرية متفرقة.. وكأنما هو يجهل أو يتجاهل حينما يعبر بها وأعني بذلك ـ شيء ـ أنها تشمل ما تدركه العين وما لا تدركه بسبب ضآلته أو تناهي بعده. وما يدركه الفكر من معرفة توصل إليها العقل بصفة عامة بمختلف مقاييس الذكاء.

والذي يستحسن من المتحدث أو الشاعر أن يرعوي وأن يعرف مقدار محدودية عقله وفهمه وذكائه. حتى يدع التبجح بالإحاطة بكل شيء ويعمد إلى التبعيض الذي يتفق ومستوى مقدرة إدراكه وفهمه وينأى بنفسه عما يقلل من مقدرتها وقدرها في أعين الآخرين وألسنتهم.. ويقيم لها سياجاً بحفظها من التكذيب والازدراء.

وإذا ما نظرنا إلى ربط ـ شيء ـ بـ«كل» كعبارة تعميمة في لغة الشعر فإننا لم نجد للشعراء القدامى ولا المحدثين رصيداً وافراً من الأبيات التي تشتمل عليها. وإنما هناك نزر قليل تلفت النظر قلته.

ونظراً لأهمية مفهوم هذه العبارة وما لها من عمق في التعميم فإنه سيكون لي نظر في ذلك.. وذلك في موضوع آخر إن شاء الله..



ومن حصيلة ما رصدته من الأبيات التي اشتملت على عبارة «كل شيء» قول أحد الشعراء:

في كل شيء عبرة لمن عقل
قد يسعد المرء إذا المرء اعتدل

وقول يزيد بن الطثرية المتوفى ١٢٦هـ من جملة أبيات غزلية:

بنفسي من لو مرّ برد بنانه
على كبدي كانت شفاءً أنامله

ومن هابني في كل شيء وهبته
فلا هو معطيني ولا أنا سائله

إذا ما رآني مقبلاً غض طرفه
كأن شعاع الشمس دوني تقابله

وله من قصيدة غزلية أخرى:

فإن تمنعوا أسماء أو يك نفعها
لكم أو تدبّوا بيننا بالغوائل

فلن تمنعوني أن أعلل صحبتي
على كل شيء من مدى العين قابل

أما الشاعر هبة الله البغدادي فقد أحسن توصيف ـ كل شيء ـ ووضعها في الموضع المناسب لها، وذلك قوله:

لولا حجاب أمام النفس يمنعها
عن الحقيقة عما كان في الأزل

لأدركتْ كل شيء عز مطلبه
حتى الحقيقة في المعلول والعلل



صفحة من فصل في البحث في... كل!!

كان الحديث في مجلس ضمني مع لفيف من الأصدقاء يدور حول لفظة ـ كل ـ ومعناها وقواعد صياغتها في الرسائل والبحوث والحادثات. والأحكام العامة. وقد حملني هذا الحديث الشيق على البحث عن علاقتها بما ترتبط به من الألفاظ التي تترجم بعض المفاهيم اللغوية.. فعمدت إلى كتاب «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المتوفى سنة٧٦١هـ فإذا به يعرفها بقوله: كل اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكر نحو: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥] والمعروف المجموع نحو: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٥]. وأجزاء المفرد المعرف نحو: «كل زيدٍ حَسَن» فإذا قلت: «أكلت كل رغيف لزيد» كانت لعموم الأفراد. فإن أضفت الرغيف إلى زيد صارت لعموم أجزاء فردٍ واحد.. وقد أسهب في ذكر تأثيرها وتعدد عملها وساق أمثلة على ذلك من القرآن ومن بعض العبارات التي صاغها وفق لمقتضى الحال.. ثم عقد فصلاً لذلك، جاء فيه قوله: واعلم أن لفظة ـ كل ـ حكمه الإفراد والتذكير، وأن معناها بحسب ما تضاف إليه. فإن كانت مضافة إلى منكر وجب مراعاة معناها، فلذلك جاء الضمير مفرداً مذكراً في نحو: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ [القمر: ٥٢]. ومفرداً مؤنثاً نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾[المدثر: ٣٨] ومثنى مثل قول الفرزدق:

وكلُّ رفيقي كلِّ رَحْلٍ ـ وإن هما

تعاطى القنا قوما هما ـ إخوان



قال: وقول الفرزدق ـ كل رَحْل ـ كل هذه زائدة.. ومجموعاً مذكراً في قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]. ومجموعاً مؤنثاً نحو: «وكل مصيبات الزمان وجدتها» هذا وعلى من يريد الاستزادة من المعرفة فعليه الرجوع إلى الكتاب الآنف الذكر. فصل ـ حرف الكاف: كل ـ. أما الشعراء فقد أتحفونا وما زالوا يتحفوننا بكم هائل من شوارد الأبيات المشتملة على ـ كل ـ ففيما يدخل في مضمون الحكمة قول: إلياس فرحات:

ولو كان كل المظهرين لي الوفا
وفيين لم يعجزكِ يا نفس مطلب

وقول الشاعر ذي الإصبع:

كل امرئ راجع يوماً لشيمته
وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

وقول الشاعر صفي الدين الحلي:

تهافتْ على حفظ اللغات مجاهداً
فكل لسان في الحقيقة إنسان

وقول أبي العلاء المعري:

فكن في كل نائبة جريئاً
تصب في الرأي إن خطئ الجبان

وقول صريع الغواني:

تلقى بكل بلاد إن حللت بها
أهلاً بأهل وجيران بجيران

وقول: أبي الفتح البستي:

ولــن فــي الــكــلام لــكــل الأنــام
فـمسـتـحسـن من ذوي الجـان لـيـنْ

ويقول أبو الفتح البستي أيضاً:

ولــلأمــور مــواقــيــت مــقــدرة
وكــل أمــر لــه حــد ومــيــزان

○ ○ ○ ○ ○

المتنبي يحقق شمولية ما يفعله ممدوحه بـ«كل»!!

والمتنبي وهو الشاعر الذي لا يشق له غبار في انتقاء المفردة الشعرية، والصياغة البلاغية ورشاقة المعنى، وتماسك البناء، والأخذ بأعناق البديع في المديح والغزل والهجاء والرثاء.. لا يغفل لحظة عن استخدام لفظة «كل» حيث وجد في التعبير بها شمولية يطرب لها ممدوحه حينما يطرق مجال ذكر المناقب.. ويسيئ بها من يناصبه الهجاء فلا يترك باستخدامها جميع. أو قُل كل ما هو ثالب ومعيب.. ومصداق ذلك أننا لو امتدحنا شخصاً ما وقلنا هو أفضل كل الناس لجعلناه في القمة دون سواه. أو قلنا هو أكرم كل الناس، أو أشجع كل الناس لجعلناه المقدم في ذلك. والمتنبي قد أكثر من استخدام ـ كل ـ لتمام معرفته بتأثيرها في النفس، ولقطع الطريق على أي ممتدح يحاول إضافة شيء فوق ما وصف به ممدوحه من أفعال إلى جانب الذي يأخذ في تفصيله وتبيانه.

ومن صور رفع مقام ممدوحه عن سائر الناس بـ«كل» ما ضمنه إحدى قصائده التي امتدح بها سيف الدولة الحمداني سنة ٣٤٠هـ وسجل فيها مشاهد بطولته في «دلوك» وهو موضع وراء الفرات، وفي صنجة وهو اسم نهر بين ديار مضر وديار بكر.. وجعل رايات نصره فوق كل طود، ولم يعين طوداً، بل شمل أطواد تلك الجهات بـ«كل»:

فلما تجلّى من دلوك وصنجة

عَلَتْ كل طود راية ورعيل





وفي موضع آخر من نفس القصيدة جعل جيش سيف الدولة سحباً تمطر الحديد على عدوه في كل مكان:

سحائب يمطرن الحديد عليهم
فكل مكان بالسيوف غسيل

وفي موضع آخر منها يصف خيل سيف الدولة وهي تخوض دماء أجواف جند عدوه خوضاً يكفل لمن رآها بأنه لا يتعذر عليها بعد ذلك خوض دم لم تخضه بعد:

فخاضت نجيع الجمع خوضاً كأنه
بكل نجيع لم تخضه كفيل

تسايرها النيران في كل مسلك
به القوم صرعى والديار طلول

وفي نفس القصيدة يصف خيل سيف الدولة وقد دخلت حصن الران في بلاد الروم، وقد ظهر عليها الإعياء والتعب مما أصابها في حوافرها. ثم اعتذر لها فقال: لم يلحقها ذاك لضعفها لكن الأمير كلفها من همته صعباً فذلت له:

وبِتْنَ بحصن الرّان رزْحَى من الوجى
وكل عزيز للأمير ذليل

وفي كل نفس ما خلاه ملالة
وفي كل سيف ما خلاه فلول

وفي نفس القصيدة يقول: إن سيد الدولة يجود بماله في كل الأحوال ولكنه يبخل برجاله: يعني أنه يبذل المال ويصون الرجال:

جواد على العلات بالمال كله
ولكنه بالدارعين بخيل



وفي موضع آخر من نفس القصيدة يبالغ في امتداح سيف الدولة فيجعله شريك المنايا وأن كل منية لم يكن سببها سيفه فهي خائنة:

شريك المنايا والنفوس غنيمة

فكل ممات لم يمته غلول

وفي القصيدة نفسها أكثر من ذلك مما استخدم فيه «كل».

ooooo

شيء من دلالات.. كل شيء!!

يركب بعض أهل العلم والمعرفة والمتكلمين والشعراء وغيرهم ممن حباهم الله ذلاقة اللسان وفصاحة المنطق موجة الكبرياء.. ويمتطي صهوة التعالي. فيصف نفسه بأنه العالم العارف بكل شيء، وكأنما هو يجهل نفسه بأنه أقل من ذرة من شيء. فكيف يحيط علمه بكل شيء؟!! وليت الذي يستخدم لفظة ـ كل شيء ـ أثناء الحديث عن نفسه وعند إظهار قدراته الفكرية والعقلية.. يتصور معناها الواسع ومدلولها العميق الذي تعجز مقدرته عن الوقوف على جانب ضئيل منه. ولعظم مدلولها نرى أن الله سبحانه وتعالى قد خص ذاته بالتعبير بها فقال تعالى مخبراً عن قدرته على كل شيء، وعن إحاطته علمه بكل شيء في سورة الطلاق ١٢: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾. أخبر تعالى في الآية ٨٨ من صورة القصص: إن البقاء له وأن كل شيء سواه هالك قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾. وعن إحاطته بكل شيء أخبرنا في الآية ١٢٦ من سورة النساء: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾. وأخبرنا تعالى عن إتقانه لكل شيء في الآية ٨٨ من سورة النمل فقال جل شأنه: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾. وعن إحصائه الأشياء قال تعالى في الآية١٢ من سورة ياسين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ وأخبرنا تعالى في الآية ١٢ من سورة

الإسراء أنه قد فصّل كل شيء وبينه لنا. وذلك بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾.. وفي محيط الشعر نرى بعض الشعراء قد أخذ حذره من التعميم، بكل شيء إلا فيما يكون موافقاً لاستخدامها لها، وذلك مثل قول لبيد بن ربيعة في بيته المشهور:

ألا كل شيء ما خلا اللّه باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

وقول أسامة بن زيد:

كل شيء تراه في هذه الدنيـ
ـا خيال إذا انتهيت يزول

ما يدوم النعيم فيها ولا البؤ
س متاع الدنيا متاع قليل

وقول الحارث بن عباد:

كل شيء مصيره للزوال
غير ربي وصالح الأعمال

وقول أحد الشعراء:

كل شيء إذا تناهى تواهى
وانتقاص البدور عند الكمال

أما الأصمعي فله قصيدة ابتهالية جميلة ومؤثرة.. منها قوله مناجياً ربه:

فإذا رضيتَ فكل شيء هين
وإذا حصلت فكل شيء حاصل



أنـا عـبـد سـوء آبـق كـلّ عـلـى
مـولاه أوزار الـكـبـائـر حـامـل

قد أثقلت ظهري الذنوب وسَوّدت
صحفي العيوب وستر عفوك شامل

○ ○ ○ ○ ○

تأمل في بعض الأبيات المحتوية على ـ كل ـ!

وحصر أبيات الحكمة التي تشتمل على لفظة ـ كل ـ شيء غير ممكن. بل إن التفكير في حصرها غير وارد، وذلك بسبب كثرتها وتجدد استخدام الشعراء لها منذ عرف الشعر إلى يومنا هذا.. والدليل على ذلك أننا لو ألقينا نظرة على ديوان شعر واحد ورصدنا ما فيه من الأبيات التي تتضمن لفظة ـ كل ـ لحصلنا على كم هائل منها. فما لنا بما تحويه آلاف الدواوين منذ العصر الجاهلي.

وبالاستمتاع بالنظر إلى بعض الأبيات المتضمنة للفظة ـ كل ـ والتي سأتناولها تناولاً عشوائياً لا اختيارياً، تقف مثلاً على بيت الشاعر: عبد الله الشبراوي:

والموت حق ولكن ليس كل فتى
يبلى عليه إذا يعروه فقدان

وفي هذا البيت شيء من التقرير المتصف بالحكمة، إذ إن الاتفاق قد حصل على أنه ليس كل من مات يفتقد، وإنما الذي يفقد بموته من كانت له أيادٍ ندية، وأخلاق زكية.. والمثل العامي في نجد يقول: «ما يفقد إلّا الطيب».

ونقف على قول الشاعر سفيان الثوري:

في كل يوم لنا ميت نشيعه
ننسى بمصرعه آثار موتانا

والوقفة عند هذا البيت لا تعدو عن تأمل الحقيقة التي لا نجهلها،



وإن كان للنسيان دور في محاولة تناسيها ونقف على قول الشاعر القاضي الفاضل:

وإذا السعادة لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان

ومع أن السعادة سراج للحياة ونبع للسرور. فإن الشاعر قد جعلها حارساً يقظاً يجعل صاحبه يغط في سبات عميق بلا خوف ولا رعب يتولى قلبه.

أما قول الشاعر أبي عثمان بن لئون التجيبي:

فاجعل سريرتك التقوى ترى أملاً
في كل ما أنت تبغيه وبرهانا

فإن فيه من الحكمة ما يدل على أن التقوى نبراس للحياة، وحبلاً موصلاً لكل ما يريده الإنسان.

والوقوف على قول أبي الفتح البستي:

ورافق الرفق في كل الأمور فلم
يندمْ رفيق ولم يذممه ندمان

يذكرنا بالحكمة القائلة في «التأني السلامة وفي العجلة الندامة» أو يجددها لنا بأسلوبه هذا..

أما الشاعر جميل صدقي الزهاوي، فيصور المجازاة لبعض الحالات بقوله:

إذا أهنتَ أناساً
فأنت سوف تهان

وأنت في كل أمرٍ
كما تدين تدان





الوقوف على لفظة ـ كل ـ لا يمل!!

ولعل الموضوعات التي سبقت قد شكلت بالنسبة لي التفاتة أدبية إلى لفظة ـ كل ـ بل حملني التمادي في قراءة كل بيت يلوح وفيه لفظة ـ كل ـ لأقف على مستوى فنية تعامل الشاعر معها، وكيفية توظيفها، مما كون لدي حصيلة متداخلة الأغراض والمعاني، وتجلت فيها روح الشعر وتلاعب الشعراء بـ«كل» وتنوع أسباب توظيفها.

ولقد تبينت أن مجال الوقوف على كيفية صنع لفظة ـ كل ـ لا يمكن حصره، لذا رأيت أن أختار بعضاً من الأبيات المبدوءة بـ«كل» لأقدمها نموذجاً لبراعة الشعراء في استخدامها ـ وحينما أقول من الأبيات ـ فهذا يعني أنه يمكن حصر ما كان مبدوءاً بـ«كل» مما قالته الشعراء قديماً وحديثاً.. وعلى هذا أبدأ بقول الشاعر: يوسف أبو هلالة:

كل بذل إذا العقيدة ريعتْ

دون بذل النفوس نزر زهيد

وهذا القول: هو والله القول الذي يجب أن يحفظ في الصدر وأن يعمل به في العلن والسر.

ويضرب عمرو بن معد يكرب في عمق الحكمة بهذا البيت:

كل امرئ يجري إلى

يوم الهياج بما استعدا

ويقول أحمد شوقي:



كل حيّ على المنية عادي

تتوالى الركاب والموت حاد«ي»

أما العباس بن الأحنف الذي قد تفنن في أساليب التغزل وأبدع في صناعة الغزل فيقول:

كل يوم لنا عتاب جديد

وهواناً على العتاب يزيد

ويترجم أبو العلاء المعري حقيقة لا اختلاف عليها في قوله:

كل بيت للهدْم.. ما تبتني الور

قاء والسيد الرفيع العماد

هذا من حيث البناء والهدم في الدنيا أما من حيث الحياة والموت وعدم الخلود فيقول فيه ابن مناذر:

كل حيّ لاقي الحِمامَ فمودي

فالحيّ مؤمّلٍ من خلود

ويقتبس الأحوص من معنى الآية الكريمة: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾ [المسد: ٥] فيقول:

كل الحبال حبال الناس من شعر

وحبلها وسط أهل النار من مسد

أما الإمام الشافعي فقد أحكم المعنى في تصوير العداوة التي لا يمكن إخماد سعيرها وذلك بقوله:

كل العداوة قد تجرى إماتتها

إلّا عداوة من عاداك من حسد

○ ○ ○ ○ ○

مكانة ـ كل شيء ـ في القافية والكلمة العابرة!!

والأذكياء من الكتاب والشعراء والمتحدثين، يأخذ كل منهم الحيطة عندما يتحدث عن نفسه، ويميل إلى إطرائها من حيث إصابة رأيه لمقاتل الأمور، وإلمامه بما كبر وصغر من الأشياء التي اتسعت لها مداركه، وارتبطت بحياته العملية، وبعلاقاته الاجتماعية فلا يستخدم عند ذلك لفظة «كل شيء» لأنها تعني الإحاطة العامة التي من صفات الإنسان؛ لأن الإنسان يعروه النقصان ومبتلى بالنسيان. وغير مؤهل لمعرفة جميع ما يكون وما قد كان. وإن بلغت نسبة الفطنة والذكاء علو الشأن.

وبعض الشعراء الذين يدركون مفهوم لفظة ـ كل شيء ـ يتحاشون إدخالها في أساليبهم الشعرية إلّا فيما يكون لها فيه مكان يتفق وواقعها اللفظي والمعنوي معاً.

أما كيف يكون لها وقع وتأثير في النفس عندما تكون قافية البيت من الشعر فهذا ما يحتاج إلى إيجاد دليل نستمد منه قوة تأثيرها ومدى انسجامها كقافية متى ما وجدت بين أبيات القصائد اليائية.. وكيف تكون مناسبة للمكان الذي يضعها الشاعر فيه من حيث المفهوم اللفظي والمعنى الشمولي.

أما جرسها ونغمتها الموسيقية في القافية متى ما اختارها الشاعر المتمكن فشيء يعجز التعبير عن وصف الإحساس به والتفاعل السماعي معه.. ويبقى الآن أن نستعرض بعضاً من النماذج التي حصلت عليها بشيء من التعب.. وذلك مثل قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:



ولو أنا إذا متنا تركنا
لكان الموت راحة كل شيّ
ولكنا إذا متنا بعثنا
ونُسأل بعد ذا عن كل شيٍّ

وقول ابن المعتز:

قد كشف الدهر عن يقيني
قناعَ شكّي في كل شيء

وقول عبد الغني النابلسي:

إنما نحن وأنتم خلقه
وهو مولى في يديه كل شيء

وقول رفيق فاخوري:

فضول الناس أقتل ما نعاني
يعالجُ كلَّ معتقدٍ وزيٍّ
يطل برأسه من كل باب
ويدخل أنفه في كل شيٍّ

وقول ابن حمديس:

كيف ترجو أن تكون سعيداً
وأرى فعلك فعلَ شقيٍّ
فاسألِ الرحمة رباً عظيماً
وسعت رحمته كل شي

ومما تقدم نتبين أن حذر الشعراء من استخدامها يقوم على أمرين: الأول: أن شمولية معناها مختص بذات الله تعالى، والثاني: أن التجاوز في استخدامها لا يتهيأ له المكان المناسب الذي يرضى عنه الشاعر ويستسيغه الناقد.



من دلالات اليوم الوطني لشعوب الأرض!!

والملاحِظ من حيث مناسبة أهم الأفراح لدى معظم شعوب الأرض، يدلك أن سببها يرجع إلى أن لتلك الشعوب يوماً من أيام السنة قد جعلوه مناسبة وطنية. أما كيف يكون تحديد ذلك اليوم؟. فإنه إما أن يكون مناسبة تحرير شعب من الاستعمار، أو أنه يوم اندحر فيه باغٍ بغى عليه ـ والمعنى بذلك الوطن ـ فرد على عقبه. فكأن يوم نصر تتجدد ذكراه كل عام ـ أو أن يكون قد حصل له في مثل ذلك اليوم تحولاً من حالة سياسية أو اجتماعية سيئة إلى حالة حسنة استقرت فيها الأمور التي تطمئن بها القلوب وتنشرح لها الصدور وتسعد بها الأنفس ـ أو يوم توحّدت فيه أجزاء بلاد متفككة، وتآلفت فيه قبائل متناحرة يغزو بعضها بعضاً. وينهب بعضها بعضاً كما هي الحال في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية التي وحد أطرافها جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود طيب الله ثراه. حيث أعلن توحيدها في مرسوم ملكي صدر في يوم الخميس الأول من برج الميزان الموافق للحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة١٣٥١هـ والواقع في ٢٢ سبتمر أيلول عام ١٩٣٢م، فكان يوماً وطنياً يتكرر في كل أول يوم من الميزان من كل عام منذ عام ١٣٥١هـ.

.. والحقيقة إنها ذكرى تعز على النفوس حيث استحال الخوف في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية ـ وهي ما تعرف الآن بالمملكة العربية السعودية ـ إلى أمن، والمرض إلى صحة، والجهل إلى علم، والعداوة والبغضاء إلى تآلف وتآخي ومحبة. فأصبحت الأيدي المتفرقة يداً واحدة قوية، تبني وتنشئ وهي محكمة القبضة على السلاح لتشهره



في وجه كل من يسعى لتفريق شملها وتمزيق وحدتها وتشتيت جمعها. فاستقام لنا الأمر بحمد الله ومنته، وأخذ وطننا ـ المملكة العربية السعودية ـ مكانه من العالم بهامة شامخة وجبهة تأبى الركوع لكل مخالف لدستورنا القرآن الكريم وشريعة نبينا محمد ﷺ.

ومما قيل في ذكرىٰ اليوم الوطني لهذا العام ١٤١٦هـ من أشعار قول الشاعر عبد العزيز محمد الحسن من قصيدة له عنوانها «نخيل الوطن»:

كيف السبيل لشكران الجميل وما
نهديك في يومك المشهود يا وطني

نهديك أرواحنا نعطيك عزتنا
يفديك شعب بكل المكرمات غني

في كل حين تضيء المجد همتنا
حتى غدونا له كالروح في البدن

لو لم تكن لم يكن فخر ولا همم
تهو ولا موطن في العالمين سني

يا موطن المجد ما أسماك معتصماً
باللّه مسترشداً من صفوة السنن

يا موطن الفخر والأفراح تغمرنا
في يومك العاطر الوضاء بالمنن

يا أيها الساكن الغالي ضمائرنا
أكرمت فيك الذي بالحب أكرمني

لو لم تكن لم أكن يا لحن أغنيتي
ويا هواي الذي بالشعر ألهمني

○ ○ ○ ○ ○

يومان.. في يوم واحد من الميزان

في كل عام من أعوام منذ عام ١٣٥١هـ ونحن نحتفل بذكرى توحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود طيب الله ثراه، وجزاه عنا أحسن الجزاء.

وفي هذا العام١٤١٦هـ صادف اليوم الأول من الميزان الذي هو اليوم الوطني.. يوم السبت ٢٨ ربيع الآخر الموافق ٢٣ سبتمبر عام١٩٩٥م موعد بدء الدراسة في جميع مراحل التعليم. فامتزج الشعور لدى الجميع باليوم الوطني، ويوم بدء الدراسة. فكانت فرحتان في فرحة واحدة ويومان في يوم واحد.

وتنقلنا موافقة يوم بدء الدراسة باليوم الوطني إلى الوقوف على تطور التعليم في بلادنا المملكة العربية السعودية منذ توحيدها في يوم الخميس الأول من الميزان والحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ الموافق ٢٢ سبتمبر أيلول سنة ١٩٣٢م. إلى هذا اليوم الذي قُدر فيه عدد الطلاب والطالبات بأربعة ملايين طالب وطالبة.

وتأتي هذه المناسبة في هذا العام ١٤١٦هـ وبلادنا تحتضن سبع جامعات متكاملة المرافق والمنافع بشكل ينطبق على اسم كل منها - مدينة -. تضم جميعها ٩٤ كلية بها ٣٠٣٤٥٥ طالباً وطالبة و١٢٢٥٧ هيئة تدريس بها.

والجدير ذكره في هذه المناسبة أن التعليم كان من أهم اهتمامات الملك عبد العزيز حيث جد في القضاء على التخلف الحضاري باستخدام أضدادها، فأيقظ ضمير العلم ليقضي على الجهل مشجعاً



مؤسسات التربية والتعليم فما وافاه الأجل إلَّا وقد غرس كل نواة لكل تخصص علمي بفتح المدارس النظامية.. وإنشاء مديرية للمعارف في عام ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٦م. وقد توارث هذا الاهتمام، وهذا الحرص أبناؤه من بعده فكانت الثمرة تلك الأعداد الطلابية والجامعات التي تقدم ذكرها.

ومما قيل من أشعار في ذكرى هذا العام١٤١٦هـ قول الشاعر أحمد معروف شلبي من قصيدة له عنوانها «خيول البساتين»:

هذي خيول الفجر في مضمارها
أرخت أعنتها إلى النعماء

تسقي الثرى عَرَقاً فيضحى عسجداً
في السهل أو في القمة الشماء

تسري بأمجاد الجدود يقودها
أسد مضى في حكمة وإباء

ـ عبد العزيز ـ الحر قد ورث العلا
وسقاه من كفيه للأبناء

غرس المحبة في القلوب فأينعت
حباً له ولعهده المعطاء

فرعى بلاد الأنبياء كما رعى
دين الإله بعزمة ومضاء

ورنا بعين المخلصين فراعه
جدب الحياة وضيعة البسطاء

فمضى يشق الأرض عن ثمراتها
بالعلم والإيمان دون عناء





فهرس المجلد الثالث عشر







